فتــح الــودود

بشرح

حائيــة ابن أبــي داود

شرح الشيخ

عبد الرزاق بن صالح بن علي النهمي

مكتبة الفلاح

حُقُوقُ الطَّبعِ مَحفُوظَة

الطَّبعَةُ الأُولَى

١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

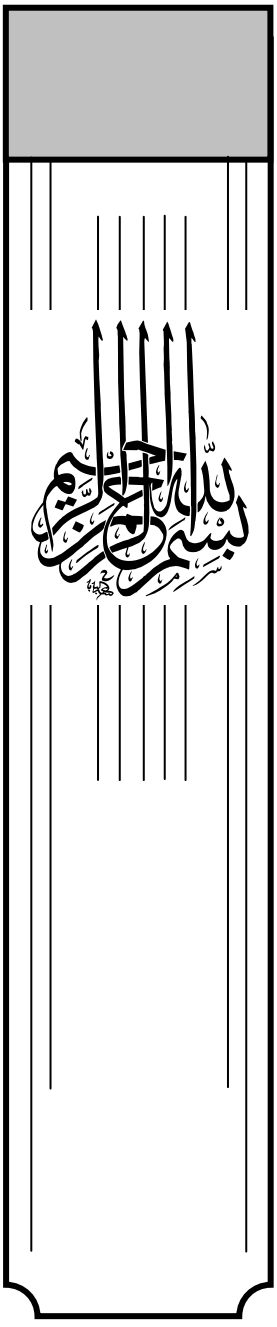

مكتبة الفلاح

للنشر والتوزيع

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمة الشيخ الْمُحَدِّث يحيى بن علي الحجوري

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أما بعد:

فقد طالعت في شرح أخينا الشيخ الفاضل عبد الرزاق النهمي حفظه الله على «**حائية أبي بكر بن أبي داود**» رَحِمَهُ ٱللَّهُ، واسمه عبد الله بن سليمان بن الأشعث، فرأيت ما طالعته من الشرح المذكور شرحًا مفيدًا.

جزى الله الشيخ أبا بكر النهمي خيرًا، وزاده من فضله

كتبه

يحيى بن علي الحجوري

٢٣ شوال / ١٤٢٨هجرية

مُقَدِّمة الـمُؤلّف

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أما بعد:

فقد يسر الله عَزَّوَجَلَّ أن دَرَّستُ إخواني طلبة العلم بمركز السنة بذمار «**شرح حائية الإمام أبي بكر بن أبي داود** رَحِمَهُ اللَّهُ»، ثم رأيت أن أُخرج هذا الشرح، لعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن ينفع به.

وقد أسميته «**فتح الودود بشرح حائية ابن أبي داود**»، هذا وأسأل الله سبحانه أن يرزقنا الصدق والإخلاص، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

أبو بكر عبد الرزاق بن صالح بن علي النهمي (٢٧/ ربيع الثاني/ ١٤٣٠) من هجرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

اليمن/ ذمار/ مركز السنة

كَلِمة شُكْر

قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «سننه» (٤٨١١): حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ**».

فبعد شكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي منّ علينا فأفضل، وأعطانا فأجزل، أشكر الإخوة الأفاضل الذين تعاونوا معي بكتابة هذه الرسالة على الكمبيوتر، ومراجعتها، وتصحيح الأخطاء الإملائية.

وأشكر الأخ الفاضل أبا فلاح صاحب مكتبة الفلاح، الذي سعى في رصّ هذا الكتاب ونشره، فجزاهم الله خيرًا.

ولكتبه

أبو بكر عبد الرزاق بن صالح بن علي النهمي (٢٧/ ربيع الثاني/ ١٤٣٠) من هجرة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

اليمن/ ذمار/ مركز السنة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ترجمة الناظم رحمه الله

اسمه ونسبه وكنيته:

هو الإمام العلامة الحافظ شيخ بغداد: عبد الله بن سليمان بن الأشعث أبو بكر السجستاني.

مولده:

ولد بسجستان في سنة ثلاثين ومائتين.

نشأته ورحلته لطلب العلم:

رحل به أبوه من سجستان يطوف به شرقًا وغربًا، وسمعه من علماء ذلك الوقت، فسمع بخراسان، والجبال، وأصبهان، وفارس، والبصرة، وبغداد، والكوفة، والمدينة، ومكة، والشام، والجزيرة، والثغور، واستوطن بغداد.

قال الذهبي رحمه الله في «السير» (١٣/ ٢٢٢): «وسافر به أبوه وهو صبي، فكان يقول: رأيت جنازة إسحاق ابن راهويه.

قلت: وكانت في سنة ثمان وثلاثين ومائتين، في شعبان، فأول شيخ سمع منه: محمد بن أسلم الطوسي، وسر أبوه بذلك لجلالة محمد بن أسلم» اهـ.

مشايخه:

روى عن أبيه، وأحمد بن صالح، وأبي الطاهر بن السرح، وعلي بن خشرم، ومحمد بن بشار، ونصر بن علي، وأبي سعيد الأشج، وهارون بن سعيد الأيلي، وإسحاق الكوسج، وعمرو بن علي الفلاس، والحسن بن محمد الزعفراني، والحسن بن عرفة، ومحمد بن يحيى الذهلي، وخلق كثير سواهم.

تلاميذه:

حدث عنه خلق كثير منهم: ابن حبان، وأبو أحمد الحاكم، وأبو عمر بن حيويه، وابن المظفر، وأبو حفص بن شاهين، وأبو الحسن الدارقطني، وعيسى بن علي الوزير، وابن المقرئ، وأبو القاسم بن حبابه، وأبو طاهر المخلص، ومحمد بن عمر بن زنبور الوراق، وأبو مسلم محمد بن أحمد الكاتب، وآخرون.

منزلته العلمية وثناء أهل العلم عليه:

قال الحافظ أبو بكر محمد الخلال: «كان ابن أبي داود إمام أهل العراق، ومن نصب له السلطان المنبر، وقد كان في وقته بالعراق مشايخُ أسند منه، ولم يبلغوا في الآلة والإتقان ما بلَغ هو».

وقال الخليلي: «حافظ إمام وقته عالم متفق عليه».

وقال أبو حفص بن شاهين: «أملى علينا بن أبي داود سنين، وما رأيت بيده كتابا، إنما كان يملي حفظًا، فكان يقعد على المنبر بعدما عمي، ويقعد دونه بدرجة ابنه أبو معمر – بيده كتاب– فيقول له: حديث كذا، فيسرده من حفظه، حتى يأتي على المجلس».

وقال الخطيب البغدادي: «كان فقيهًا عالِمًا حافظًا»، كما في «تاريخ بغداد» (٩/ ٤٧١).

وقال الذهبي في «السير» (١٣/ ٢٢١): «الإمام العلامة الحافظ، شيخ بغداد».

وقال: «كان من بحور العلم، بحيث إن بعضهم فضله على أبيه».

وقال: «الرجل فمن كبار علماء الإسلام، ومن أوثق الحفاظ رحمه الله».

وقال الذهبي أيضا كما في «مختصر العلو للعلي الغفار» (ص/ ٢٢٩): «كان أبو بكر من الحفاظ المبرزين، ما هو بدون أبيه، صنف التصانيف وانتهت إليه رئاسة الحنابلة ببغداد» اهـ.

عقيدته:

كان رَحِمَهُ اللَّهُ على عقيدة السلف الصالح أهل الحديث رحمهم الله، يدل على ذلك هذه المنظومة المباركة التي قرر فيها عقيدته.

زهده وعبادته وعفّته:

قال محمد بن عبد الله بن الشخير: «كان ابن أبي داود زاهدًا ناسكًا».

وقال الذهبي: «وكان رئيسًا عزيز النفس مدلًا بنفسه سامحه الله».

قال أبو حفص بن شاهين: «أراد الوزير علي بن عيسى أن يصلح بين ابن أبي داود وابن صاعد، فجمعهما، وحضر أبو عمر القاضي، فقال الوزير: يا أبا بكر، أبو محمد أكبر منك، فلو قمت إليه، فقال: لا أفعل.

فقال الوزير: أنت شيخ زيف، فقال: الشيخ الزيف الكذاب على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فقال الوزير: من الكذاب؟ قال: هذا، ثم قام وقال: تتوهم أني أذل لك لأجل رزقي، وأنه يصل إليّ على يدك، والله لا آخذ من يدك شيئًا. قال: فكان الخليفة المقتدر يزن رزقه بيده، ويبعث به في طبق على يد الخادم».

مصنفاته:

له مصنفات كثيرة منها: «المسند»، و«السنن»، و«التفسير»، و«البعث»، «المصاحف»، «القراءات»، «الناسخ والمنسوخ»، وغيرها.

قال فيه الذهبي: «صاحب التصانيف».

مما نسب إليه ولم يصح عنه:

١- نُسب إليه أنّ أباه قال: «ابني عبد الله كذاب»، كما في «الكامل» لابن عدي (٥/ ٤٣٦).

وهذه التهمة فندها المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب «التنكيل» (١/ ٢٩٨) فقال: «الداهري وابن كركرة لم أجد لهما ذكرًا في غير هذا الموضع، وقول ابن صاعد: كفانا ما قال أبوه فيه؛ إن أراد هذه الكلمة فإن كانت بلغته بهذا السند فلا نعلمه ثابتًا، وإن كان مستندًا آخر فما هو؟ وإن أراد كلمة أخرى فما هي؟!» اهـ.

وقد شكك الحافظ الذهبي في صحة هذه النسبة فقال في «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٢٣١): «لعل قول أبيه فيه إن صح أراد الكذب في لهجته، لا في الحديث، فإنه حجة فيما ينقله، أو كان يكذب ويوري في كلامه، ومن زعم أنه لا يكذب أبدًا، فهو أرعن، نسأل الله السلامة من عثرة الشباب، ثم إنه شاخ وارعوى، ولزم الصدق والتقى» اهـ.

وأما ما ذُكر عن إبراهيم الأصبهاني أنه قال في ابن أبي داود: كذاب، فلم يصح عن ابن الأصبهاني هذا التكذيب كما قال المعلمي في «التنكيل» (١/ ٣٠٩): «لا يتبين ثبوت هذه الكلمة عن ابن الأصبهاني...» إلخ.

٢- ونُسب إليه شيء من النصب، وهو نصب العداء لأهل البيت، وهذا لم يصح عنه.

قال أحمد بن يوسف الأزرق: «سمعت أبا بكر بن أبي داود يقول: كل الناس من في حل إلا من رماني ببغض عليّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ»، «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٢٢٩)، و«تاريخ بغداد» (٩/ ٤٧٤).

ويرد هذه الفرية قوله في «قصيدته الحائية» في الثناء على علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بعد ذكر أبي بكر وعمر وعثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ:

وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ عَلِيٌّ حَلِيفُ الْخَيْرِ بِالْخَيْرِ مُنْجِحُ

وقد ذب الحافظ الذهبي عن الإمام أبي بكر بن أبي داود فقال في «الميزان» (٢/ ٤٣٦): «وما ذكرته إلا لأنزهه».

وكذا ذبَّ عنه ابن عدي في «الكامل» (٥/ ٤٣٧) قال: «وأبو بكر بن أبي داود لولا شرطنا أول الكتاب أنّ كل من تكلم فيه متكلم ذكرته في كتابي هذا، وابن أبي داود قد تكلم فيه أبوه وإبراهيم الأصبهاني، ونسب في الابتداء إلى شيء من النصب، ونفاه ابن الفرات من بغداد إلى واسط، وردّه علي بن عيسى، وحدث وأظهر فضائل علي، ثم تحنبل فصار شيخًا فيهم، وهو مصروف بالباطل، وعلمه ما كتب مع أبيه أبي داود، ودخل مصر والشام وخراسان وهو مقبول عند أصحاب الحديث، وأما كلام أبيه فيه فلا أدري أيش تبيّن له منه» اهـ.

قلت: وقد تقدم أنه لم يثبت عن أبيه أنه كذبه، وأما ابن الأصبهاني فلم تثبت عنه هذه الكلمة.

وفاته:

توفي يوم الأحد لاثنتي عشرة بقيت من ذي الحجة من سنة ست عشرة وثلاث مائة، وعاش سبعًا وثمانون سنة، وصُلِّيَ عليه ثمانين مرة، وصلى عليه نحو من ثلاث مائة ألف إنسان وأكثر، ودفن في مقبرة باب البستان، وخلف ثلاث بنين، عبد الأعلى، ومحمدًا، وأبا معمر عبيد الله، وخمس بنات.

انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٢٢١- ٢٣٧)، و«تاريخ بغداد» (٩/ ٤٧١)، و«تذكرة الحفاظ» (٢/ ٧٦٨)، وغيرها.

إثبات حائية الإمام أبي بكر بن أبي داود إليه

القصيدة ثابتة إليه فقد رواها الآجري في «الشريعة» عقب أثر رقم (٢٠٧٥)، فقال: «أملى علينا أبو بكر بن أبي داود في مسجد الرصافة في يوم الجمعة لخمس بقين من شعبان، سنة تسع وثلاثمائة، فقال: ...» ثم ذكرها.

ورواها الذهبي كما في «مختصر العلو للعلي الغفار» (ص/ ٢٢٨) فقال: «أخبرنا أحمد بن عبد الحميد، أنبأنا محمد بن قدامة سنة ثماني عشرة وستمائة، أخبرتنا فاطمة بنت علي، أنبأنا علي بن بيان، أنبأنا الحسين بن علي الطناحيري، أنبأنا أبو حفص بن شاهين قال: قال شيخنا أبو بكر عبد الله بن سليمان هذه القصيدة وجعلها محسنة»، فذكرها.

ثم قال الذهبي: «هذه القصيدة متواترة عن ناظمها، رواها الآجري وصنف لها شرحًا، وأبو عبد الله بن بطة في «الإبانة».

قال ابن أبي داود: «هذا قولي، وقول أبي، وقول شيوخنا، وقول العلماء، ممن لم نرهم كما بلغنا عنهم، فمن قال غير ذلك فقد كذب» اهـ.

وأخرجها ابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (٢/ ٥٣) فقال: أنبأنا علي المحدث، عن عبد الله الفقيه، قال: أنشدنا أبو بكر بن أبي داود من حفظه لنفسه، ...» فذكرها.

وإلى القصيدة:

متن الحائية

قال الإمام أبو بكر بن أبي داود رَحِمَهُ اللَّهُ:

١- تَمَسَّكْ بحَبْلِ الله واتَّبِع الهُدَى ... ولا تَكُ بِدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ

٢- وَدِنْ بِكِتَابِ الله والسُّنَنِ الَّتِي ... أَتَتْ عَن رَسُولِ الله تَنْجُ وَتَرْبَحُ

٣- وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلامُ مَليكِنا ... بِذَلكَ دَانَ الأَتْقِياءُ وأَفْصحُوا

٤- وَلا تَكُ فِي القُرْآنِ بالوَقْفِ قَائِلاً ... كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا

٥- ولا تَقُلِ القُرآنُ خَلقاً قرأتَهُ ... فإنَّ كَلامَ الله بِاللَّفْظِ يُوضَحُ

٦- وَقُلْ يَتَجلَّى الله للخَلْقِ جَهْرةً ... كَمَا البدْرُ لا يَخْفى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ

٧- وَلَيْسَ بمَوْلُودٍ وليسَ بِوَالِدٍ ... وَلَيسَ لَهُ شِبْهٌ تَعَالَى المسَبَّحُ

٨- وَقَدْ يُنكِرُ الجَهْمِيُّ هَذَا وعِنْدَنَا ... بِمِصْدَاقِ ما قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَرِّحُ

٩- رَوَاهُ جَرِيرٌ عن مَقَالِ مُحَمَّدٍ ... فقُلْ مِثْلَ ما قَدْ قَالَ في ذَاكَ تَنْجَحُ

١٠- وَقَدْ يُنكِرُ الجَهْمِيُّ أَيضًا يَمِينَهُ ... وَكِلْتَا يَدَيْهِ بالفواضِلِ تَنْفَحُ

١١- وَقُلْ يَنْزِلُ الجَبَّارُ في كُلِّ لَيْلَةٍ ... بِلا كَيْفَ جَلَّ الواحدُ المتَمَدِّحُ

١٢- إلى طَبَقِ الدُّنيا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ ... فَتُفْرَجُ أَبْوابُ السَّماءِ وتُفْتَحُ

١٣- يَقولُ: ألا مُسْتغفِرٌ يَلْقَ غَافِرًا ... ومُسْتَمنِحٌ خَيْرًا ورِزقًا فأمْنَحُ

١٤- رَوَى ذَاكَ قَومٌ لا يُرَدُّ حَدِيثَهم ... ألا خَابَ قَوْمٌ كذَّبوهُم وقُبِّحُوا

١٥- وَقُلْ إنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ... وَزِيراهُ قُدْمًا، ثُمَّ عُثْمانُ أَرْجَحُ

١٦- وَرابِعُهُم خَيْرُ البريَّةِ بَعْدَهُم ... عَلِيٌّ حَليفُ الخَيرِ، بالخَيرِ مُنْجِحُ

١٧- وإنَّهُمُ و الرَّهْطُ لا رَيْبَ فِيهِمُ ... عَلَى نُجُبِ الفِرْدَوْسِ في الخُلْدِ تَسْرَحُ

١٨- سَعِيدٌ وسَعْدٌ وابنُ عَوْفٍ وطَلْحةٌ ... وعَامِرُ فِهْرٍ والزُّبَيْرُ المُمَدَّحُ

١٩- وَقُلْ خَيْرَ قولٍ في الصَّحَابةِ كُلِّهِمْ ... ولا تَكُ طَعَّانًا تَعِيْبُ وَتَجْرَحُ

٢٠- فَقَدْ نَطَقَ الوَحْيُ المُبِينُ بِفَضْلِهِمْ ... وفي الفَتْحِ آيٌ في الصَّحابةِ تَمْدَحُ

٢١- وبِالقَدَرِ المَقْدُورِ أيْقِنْ فإنَّهُ ... دِعَامَةُ عقْدِ الدِّينِ والدِّينُ أفْيَحُ

٢٢- وَلا تُنْكِرَنْ جَهلاً نَكِيرًا ومُنْكَراً ... وَلا الحَوضَ والمِيزانَ إنَّكَ تُنْصَحُ

٢٣- وقُلْ يُخْرِجُ اللهُ العَظيمُ بِفَضلِهِ ... مِن النارِ أجْسادًا مِن الفَحْمِ تُطْرَحُ

٢٤- عَلَى النَّهرِ في الفِردوسِ تَحْيا بِمَائِهِ ... كَحَبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إذْ جَاءَ يَطْفَحُ

٢٥- فإنَّ رَسُولَ اللهِ للخَلقِ شَافِعٌ ... وقُلْ فِي عَذابِ القَبرِ حقٌّ مُوَضَّحُ

٢٦- ولا تُكْفِّرَنَّ أهْلَ الصَّلاةِ وإنْ عَصَوْا ... فكلُّهُمُ يَعْصِي وذُو العَرشِ يَصْفَحُ

٢٧- ولا تَعتقِدْ رَأيَ الخَوارجِ إنَّهُ ... مَقَالٌ لِمَنْ يهواهُ يُرْدِي ويَفْضَحُ

٢٨- ولا تَكُ مُرْجِيًّا لَعُوبًا بِدِينِهِ ... ألا إنَّمَا المُرْجِيُّ بالدِّينِ يَمْزَحُ

٢٩- وقُلْ إنَّما الإيمانُ قَوْلٌ ونيَّةٌ ... وفِعْلٌ عَلَى قَولِ النبيِّ مُصَرَّحُ

٣٠- ويَنْقُصُ طَوْرًا بالمعَاصِي وَتَارةً ... بطَاعَتِهِ يَنْمِي وفي الوَزنِ يَرْجَحُ

٣١- وَدَعْ عنكَ آراءَ الرِّجالِ وَقولَهُم ... فَقَولُ رَسُولِ اللهِ أَزكى وَأَشْرَحُ

٣٢- وَلا تَكُ مِن قَوْمٍ تَلَهَّوْ بِدِينِهِم ... فَتَطْعَنَ في أَهلِ الحَدِيثِ وتَقْدَحُ

٣٣- إذا مَا اعتقدْتَ الدَّهْرَ يا صَاحِ هذِه ... فَأَنْتَ عَلى خَيْرٍ تَبِيتُ وتُصْبِحُ

التَّمَسُّكُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١- تَمَسَّكْ بحَبْلِ الله واتَّبِع الهُدَى ولا تَكُ بِدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ

يحث الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ على التمسك بالكتاب والسنة، والتمسك هو الأخذ بالشيء والاعتصام به، فهو يحث على الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وقد أمر الله عَزَّوَجَلَّ بالتمسك بالقرآن الكريم والاعتصام به، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وحبل الله هو القرآن، وقيل: الدين.

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠]، وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: ٤٣].

وأمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالأخذ بالقرآن والتمسك به، فقد أخرج الإمام مسلم (٢٤٠٨) عن زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ الله فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ الله، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ**»، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ الله وَرَغَّبَ فِيهِ، الحديث.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «...،ثم أثنى تعالى على من تمسك بكتابه الذي يقوده إلى اتباع رسوله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، كما هو مكتوب فيه، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ [الأعراف: ١٧٠]، أي: اعتصموا به، واقتدوا بأوامره، وتركوا زواجره،

﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠]».

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثم قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ أي: خذ بالقرآن المنزل على قلبك، فإنه هو الحق، وما يهدي إليه هو الحق المفضي إلى صراط الله المستقيم، الموصل إلى جنات النعيم، والخير الدائم المقيم» اهـ.

وقوله: «واتبع الهدى»:

أي اتّبع السنة، واتباع السنة هداية، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ﴾ [النور: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ويقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةٌ، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي، فَقَدْ أَفْلَحَ، وَمَنْ كَانَتْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ**»، وفي رواية: «**فَقَدِ اهْتَدَى**»، أخرجه أحمد في «المسند» (٦٩٥٨) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

والهدى والهداية بمعنى واحد، وهي تنقسم إلى قسمين: هداية التوفيق والإلهام، وهداية الدلالة والإرشاد.

أما هداية التوفيق والإلهام فهذه خاصة بالله عَزَّوَجَلَّ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وقال تعالى: ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٨].

فالهداية التي نفاها الله عن نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ هي هداية التوفيق والإلهام.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ في «فتح المجيد» عند شرح قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦]: «والمنفي هنا

هداية التوفيق والقبول، فإن أمر ذلك إلى الله، وهو القادر عليه. وأما الهداية المذكورة في قول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢]، فإنها هداية الدلالة والبيان، فهو المبيِّن عن الله، والدالُّ على دينه وشرعه» اهـ.

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في «القول المفيد على كتاب التوحيد» (١/ ٣٤٨ - ٣٤٩): «والهداية التي نفاها الله عن رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ هداية التوفيق، والتي أثبتها له هداية الدلالة والإرشاد؛ ولهذا أتت مطلقة لبيان أن الذي بيده هو هداية الدلالة فقط، لا أن يجعله مهتديًا، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢]، فلم يخصص سبحانه فلانًا وفلانًا ليبين أن المراد أنك تهدي هداية دلالة، فأنت تفتح الطريق أمام الناس فقط وتبين لهم وترشدهم، أما إدخال الناس في الهداية فهذا أمر ليس إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، إنما هو مما تفرد الله به سبحانه.

فنحن علينا أن نبين وندعو، وأما هداية التوفيق (أي أن الإنسان يهدي) فهذا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهذا هو الجمع بين الآيتين» اهـ.

والدليل على هداية الدلالة والإرشاد قول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢]، وقوله سبحانه: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ [فصلت: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤].

والناظم رَحِمَهُ اللَّهُ يحث على التمسك بالكتاب والسنة، ويشير إلى أنهما مصدر التلقي، وقد أمر الله بالأخذ بالكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

وأمر الله بالرجوع عند الاختلاف إلى الكتاب والسنة، فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟

أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، قال مجاهد وغير واحد من السلف: أي إلى كتاب الله وسنة رسوله، وهذا أمر من الله عَزَّوَجَلَّ، بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورى:١٠]، فما حكم به كتاب الله وسنة رسوله وشهدا له بالصحة فهو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال، ولهذا قال تعالى: ﴿ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [النساء: ٥٩]، أي: ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله، فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم ﴿ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾، فدل على أن من لم يتحاكم في مجال النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما في ذلك، فليس مؤمنا بالله ولا باليوم الآخر» اهـ.

قوله: «ولا تك بدعيا لعلك تفلح»:

يحذر الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ من البدع ومن أهلها، أي: احذر أن تكون مبتدعًا، وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يحذر من البدع في كل خُطبة، فيقول: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»؛ أخرجه مسلم عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا برقم (٨٦٧).

وفي رواية النسائي (١٥٧٨): «**وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ**»، وجاء في حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أبي داود (٤٦٠٧) قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**».

وكان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يحذر أيضًا من أهل البدع، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «**سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي أُنَاسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ مَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ، وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ**»؛ أخرجه مسلم (٦).

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: تَلاَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧]، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى الله فَاحْذَرُوهُمْ**»؛ أخرجه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥).

وحذر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من الخوارج، فقال فيهم: «**الْخَوَارِجُ هُمْ كِلَابُ النَّارِ**»؛ أخرجه أحمد (٤/ ٣٨٢) عن سعيد بن جهمان، وهو حديث صحيح ذكره شيخنا الوادعي في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين».

وقد أمر الله سبحانه بالبعد عن أهل الباطل والإعراض عنهم، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٨]، وقال تعالى: ﴿وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓۚ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٤٠].

قال ابن عون رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ يرى أن أسرع الناس ردة أهل الأهواء، وكان يرى أن هذه الآية أنزلت فيهم: ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ

عَنْهُمْ﴾».

وقال الإمام محمد بن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره» (٩/ ٣٢١): «وفي هذه الآية، الدلالة الواضحة على النهي عن مجالسة أهل الباطل من كل نوع، من المبتدعة والفسَقة، عند خوضهم في باطلهم» اهـ.

والآثار عن السلف في التحذير من البدع كثيرة جدًّا.

قوله: «لعلك تفلح»:

أي: إذا اعتصمت بالكتاب والسنة، وابتعدت عن البدع وأهلها، فأبشر بالفلاح، فإنّ من اعتصم بالكتاب والسنة ففلاحه متحقق إن شاء الله، والفلاح هو الظفر بخيري الدنيا والآخرة، ولا يفلح الإنسان إلا إذا تمسك بالكتاب والسنة.

قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة: ١ - ٥].

والدليل على أنّ التمسّك بالسنة أيضًا فلاح: حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةٌ، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي، فَقَدْ أَفْلَحَ، وَمَنْ كَانَتْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ**»؛ أخرجه أحمد في «المسند» (٦٩٥٨).

النَّجَاةُ وَالرِّبْحُ فِي التَّمَسُّكِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢- وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ والسُّنَنِ الَّتِي أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ تَنْجُ وَتَرْبَحُ

قوله: «وَدِنْ بكتاب الله»:

«دِنْ» هو فعل أمر من دَانَ يَدِينُ دينًا، ومعناه التَّعبُّدُ، أي: أقم دينك على كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

قوله: «والسنن التي أتت عن رسول الله»:

السُّنَنُ: جمع سُنَّة، وهي في اللغة: الطريقة، وفي الاصطلاح: ما جاء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلقية أو خُلقية.

والناظم يحثّ على الأخذ بما جاء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ويشير إلى الأخذ بما ثبت من الأحاديث الصحيحة الثابتة التي أتت عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، سواء كانت آحادًا أو متواترةً، وسواء كانت في العقيدة أو غيرها، فالأخذ بها والعمل بها واجب ما دامت ثابتة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وخلاصة هذا البيت هو: أن الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ يحث على التمسّك بالكتاب والسنّة.

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

وقال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

قوله: «تنجو وتربح»:

أي: إذا اعتصمت يا أيها المسلم بالكتاب والسنة فأبشر بالنجاة من كل سوء ومكروه، وأبشر بالربح العظيم، والنجاة رأس المال، والربح زيادة.

قال الله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣].

قال ابن عباس في هذه الآية: «فلا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة».

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾: «أي: من أقبل على ما أنزلت به الكتب وأرسلت به الرسل، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: فيما يستقبلونه من أمر الآخرة، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما فاتهم من أمور الدنيا» اهـ.

صِفَةُ الْكَلامِ

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣- وَقُــلْ غَيْــرُ مَخْلِــوقٍ كَــلامُ مَليكِنــا بِــذَلكَ دَانَ الأَتْقِيــاءُ وأَفْصحُــوا

قوله: «وَقُلْ غَيْرُ مَخْلوقٍ كَلامُ مَليكِنا»:

بيَّن الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ أن كلام الله غير مخلوق، فقال: «وَقُلْ غَيْرُ مَخْلوقٍ كَلامُ مَليكِنا»، أي: اعتقد بقلبك، ناطقًا بلسانك، أنّ القرآن كلام الله غير مخلوق.

وقد جاءت الأدلّة تدلّ على إثبات صفة كلام الله عَزَّوَجَلَّ، وأنه صفة من صفاته سبحانه، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأنعام: ١١٥].

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].

وقال سبحانه: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦].

وقال سبحانه: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٧].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥].

◈ **ومن الأدلة على أنّ القرآن كلام الله غير مخلوق:**

قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فقد فرّق بين الخلق والأمر، والقرآن من أمره كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

قال سفيان بن عيينة، وقد سُئِل عن القرآن: أمخلوق هو؟ فقال: «يقول الله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾، ألا ترى كيف فرّق بين الخلق والأمر، فالأمر كلامه فلو كان مخلوقًا لم يفرِّق»؛ رواه الآجري في «الشريعة» (١٧١)، والطبري في «السنة» (٣٥٨).

ومن الأدلة على أن القرآن غير مخلوق: قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (١٣/ ٤٤٥): «قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، سمعت بعض أهل العلم يقول: قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ﴾ [الكهف: ١٠٩]، يدل على أنّ القرآن غير مخلوق، لأنه لو كان مخلوقا لكان له قدر وكانت له عناية، ولنفد كنفاد المخلوقين، وتلا قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾» اهـ.

ومن الأدلة على أنّ القرآن غير مخلوق: قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ**»؛ أخرجه البخاري (٣٣٧١).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (٦/ ٤١٠) - نقلا عن الخطابي -: «كان أحمد يستدل بهذا الحديث على أن كلام الله غير مخلوق، ويحتج بأن النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لا يستعيذ بمخلوق»؛ اهـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «الواسطية» (١/ ١٦): «ومن الإيمان بالله وكتبه: الإيمان بأن القرآن كلام الله، منزل، غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، وأن الله تكلم به حقيقة، وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هو كلام الله حقيقة، لا كلام غيره».

فقوله: «منه بدأ»، أي: أنّ الله هو الذي تكلّم به ابتداءً، لم يبتدئ من غيره، وليس كما يقولون: إنه بدأ من جبريل، أو من اللوح، أو من الهواء. إنما بدايته من الله، وسمعه جبريل، وبلَّغه إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وحيًا، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بلَّغه للناس، قال الله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي ﴾ [السجدة: ١٣]، وقال: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [الزمر: ١]، وقال تعالى: ﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [فصلت: ٢].

ومعنى قوله: «وإليه يعود»، أي: يعود إليه في آخر الزمان، كما في حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ**»؛ أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٩)، وهو صحيح ذكره الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيحة» (٨٧)، وشيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيح المسند» في مسند حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقيل: يعود إلى الله وصفًا، أي أنه لا يوصف به أحد سوى الله، فيكون المتكلم هو الله عَزَّوَجَلَّ وهو الموصوف به.

وقد ساق اللّالكائي القول بأنّ القرآن كلام الله عَزَّوَجَلَّ غير مخلوق عن خمسمائة وخمسين نفسًا.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٢/ ٣٤٤): «فهؤلاء خمس مائة وخمسون نفسا أو أكثر، من التابعين وأتباع التابعين والأئمة المرضيين سوى الصحابة الخيرين، على اختلاف الأعصار ومضي السنين والأعوام. وفيهم نحو من مائة إمام ممن أخذ الناس بقولهم وتدينوا بمذاهبهم، ولو اشتغلت بنقل قول المحدثين لبلغت أسماؤهم ألوفا كثيرة» اهـ.

قوله: «بِذَلِكَ دَانَ الأَتْقِياءُ وَأَفْصَحُوا»:

أي بهذا المعتقد الصحيح الحق من كلام الله عَزَّوَجَلَّ دانوا، واعتقدوا، وآمنوا، فهذه هي عقيدة الأتقياء أهل السنة والجماعة، وأفصحوا: أي: صرَّحوا بهذا.

الْقُرْآنُ كَلامُ الله

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤- وَلا تَـكُ فِي القُـرْآنِ بـالوَقْفِ قَائِـلاً كَـمَا قَـالَ أَتْبَـاعٌ لِجَهْـمٍ وَأَسْـجَحُوا

يحذر الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ من مذهب الواقفة، وهم فرقة من فرق الجهمية، فإنه لمّا ظهرت بدعة القول بخلق القرآن انقسمت الجهمية إلى ثلاث فرق:

١- فرقة صرَّحت بأنّ القرآن مخلوق.

٢- وفرقة قالت: نحن نقول: القرآن كلام الله ونسكت، ولا نقول: إنه غير مخلوق؛ وتَوَقَّفوا، فسُمُّوا واقفة.

وهذه الفرقة - أي: فرقة الواقفة - حكم عليهم أهل العلم أنهم أهل الشكّ في دينهم، وأنّهم شرّ من الجهمية، فإنّ الوقوف في هذا الموطن في غاية البطلان، ولذلك صرَّح أهلُ السنّة رحمهم الله أنّ القرآن كلام الله غير مخلوق، وبيَّنوا العبارات الموهمة التي يستغلها أهل البدع لترويج باطلهم، وأمروا بالتصريح بالعبارات الواضحة الصريحة التي ليس فيها أدنى شكّ، وليس فيها احتمال معان أخرى.

ولما كانت الواقفة عندهم هذا الشك والرّيب، ولم يُصَرِّحوا بأنّ القرآن كلام الله غير مخلوق، فقد حذّر منهم علماء السلف، وعرفوا مكرهم، وبيَّنوا أنّهم جهمية استخدموا التَّقِيّة.

قال الآجري في «الشريعة» (٢/ ٥٢٦ - ٥٣٠): «باب ذكر النهي عن مذاهب الواقفة: قال محمد بن الحسين: وأما الذين قالوا: «القرآن كلام الله عَزَّوَجَلَّ»، ووقفوا فيه، وقالوا: «لا نقول غير مخلوق»، فهؤلاء عند كثير من العلماء ممن ردّ على من قال بخلق القرآن، قالوا: هؤلاء الواقفة مثل من قال: القرآن مخلوق وأشر؛ لأنهم شكوا في دينهم،

ونعوذ بالله ممن يشك في كلام الله عَزَّوَجَلَّ أنه غير مخلوق، وأنا أذكر ما تأدى إلينا منه ممن أنكر على الواقفة من أهل العلم:

حدثنا ابن مخلد قال: حدثنا أبو داود السجستاني قال: سمعت أحمد يسأل: هل لهم رخصة أن يقول الرجل: القرآن كلام الله، ثم يسكت؟ فقال: ولم يسكت؟ لولا ما وقع فيه الناس كان يسعه السكوت، ولكن حيث تكلموا فيما تكلموا، لأي شيء لا يتكلمون؟ [الأثر صحيح، وهو في «الشريعة» (١٨٧)].

قال محمد بن الحسين: معنى قول أحمد بن حنبل في هذا المعنى يقول: لم يختلف أهل الإيمان أن القرآن كلام الله تعالى، فلما جاء جهم بن صفوان فأحدث الكفر بقوله: «القرآن مخلوق»، لم يسع العلماء إلا الرد عليه بأن القرآن كلام الله غير مخلوق بلا شك، ولا توقف فيه، فمن لم يقل: «غير مخلوق» سُمِّيَ واقفيا، شاكًّا في دينه.

وعن أبي داود قال: سمعت أحمد: وذكر رجلين كانا وقفا في القرآن، وَدَعَوَا إليه فجعل يدعو عليهما، وقال لي: هؤلاء فتنة عظيمة، وجعل يذكرهما بالمكروه.

قال أبو داود: ورأيت أحمد سلَّم عليه رجلٌ من أهل بغداد، ممن وقف فيما بلغني، فقال له: «اغرب، لا أراك تجيء إلى بابي» في كلام غليظ، ولم يرد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقال له: «ما أحوجك أن يصنع بك ما صنع عمر بن الخطاب بصبيغ»، ودخل بيته وَرَدَّ الباب. [الأثر صحيح، وهو في «الشريعة» (١٨٨)].

وعن أبي داود قال: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: من قال: «لا أقول القرآن غير مخلوق»، فهو جهمي. [الأثر صحيح، وهو في «الشريعة» (١٨٩)].

وعن أبي داود قال: سمعت قتيبة بن سعيد: وقيل له الواقفة؟ فقال: هؤلاء الواقفة شر منهم، يعني ممن قال: القرآن مخلوق. [الأثر صحيح، وهو في «الشريعة» (١٨٩)].

وعن أبي داود قال: سمعت عثمان بن أبي شيبة يقول: هؤلاء الذين يقولون: «القرآن كلام الله» ويسكتون شر من هؤلاء، يعني ممن قال: القرآن مخلوق. [الأثر صحيح، وهو في «الشريعة» (١٩٠)].

وعن أبي داود قال: سمعت أحمد بن إبراهيم، يقول: سمعت محمد بن مقاتل العباداني - وكان من خيار المسلمين - يقول في الواقفة: هم عندي شر من الجهمية.

حدثنا أبو طالب قال: سألت أبا عبد الله عمن أمسك فقال: «لا أقول: ليس هو مخلوقا»، إذا لقيني في الطريق وسلم علي، أسلم عليه؟ قال: لا تسلم عليه؟ ولا تكلمه، كيف يعرفه الناس إذا سلمت عليه؟ وكيف يعرف هو أنك منكر عليه؟ فإذا لم تسلم عليه عرف الذل، وعرف أنك أنكرت عليه، وعرفه الناس؛ [الأثر صحيح، وهو في «الشريعة» (١٩١)]» اهـ.

فحاصل هذا: أنّ الواقفة من أتباع الجهم كما أشار إليه الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ.

والجهم هو ابن صفوان ترجمه ابن حجر في «الميزان» (١/ ٤٢٦)، فقال: «جهم بن صفوان أبو محرز السمرقندي، الضال المبتدع، رأس الجهمية، هلك في زمان صغار التابعين، وما علمته روى شيئا لكنّه زرع شرًّا عظيمًا».

وقال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في «السير» (٦/ ٢٦): «الكاتب، المتكلم، أُسُّ الضلالة، ورأس الجهمية. كان صاحب ذكاء وجدال. كتب للأمير حارث بن سريج التميمي وكان ينكر الصفات وينزه الباري عنها بزعمه، ويقول بخلق القرآن، ويقول إن الله في الأمكنة كلها. قال ابن حزم: كان يخالف مقاتلا في التجسيم. وكان يقول: الإيمان عقد بالقلب، وإن تلفظ بالكفر. قيل: إنّ سَلْمَ بن أحوز قتل الجهم لإنكاره أن الله كلم موسى» اهـ.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في «لسان الميزان»: «وكان قتل جهم بن صفوان سنة ثمان

وعشرين، وسببه أنه كان يقضي في عسكر الحارث بن شريح الخارج على أمراء خراسان، فقبض عليه نصر بن سيار، فقال له: استبقني. فقال: لو ملأت هذا الملا كواكب، وأنزلت إليَّ عيسى بن مريم، ما نجوت، والله لو كنت في بطني لشققت بطني حتى أقتلك، ولا تقوم علينا مع اليمانية أكثر مما قمت، وأمر بقتله. وكان جهم من موالي بني راسب وكتب للحارث» اهـ.

وقد أخذ الجهم بدعته عن الجعد بن درهم، كما ذكره ابن كثير في «البداية» (٩/ ٤٠٥).

فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد أخذ الجعد بدعته عن بيان بن سمعان، وأخذها بيان عن طالوت ابن أخت لبيد بن أعصم، زوج ابنته، وأخذها لبيد بن أعصم الساحر الذي سحر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عن يهودي باليمن، وأخذ عن الجعد الجهم بن صفوان الخزري، وقيل الترمذي، وقد أقام ببلخ، وكان يصلي مع مقاتل بن سليمان في مسجده ويتناظران، حتى نفي إلى ترمذ، ثم قتل الجهم بأصبهان، وقيل بمرو، قتله نائبها سَلم بن أحوز رَحِمَهُ اللَّهُ وجزاه عن المسلمين خيرًا» اهـ.

بُطْلانُ قَوْلِ مَنْ قَالَ لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوق

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥- ولا تَقُــلِ القُــرآنُ خَــلقاً قــرأتَــهُ فــإنَّ كَــلامَ اللهِ بِــاللَّفْظِ يُوضَــحُ

قوله: «ولا تَقُل»:

أي: لا تقل: «قراءتي بالقرآن مخلوقة»، أو «لفظي بالقرآن مخلوق»؛ فإنّ هذا القول باطل، لأنه يحتمل معنيين:

المعنى الأول: يحتمل أنّ الملفوظ به مخلوق، وهذا باطل غاية البطلان، فإنّ القرآن كلام الله غير مخلوق.

والمعنى الثاني: يحتمل أنّ الصوت مخلوق، وهذا لا شكّ فيه، فإنّ صوت العبد وحركة لسانه وشفته مخلوقة.

فلما كانت هذه اللفظة تحتمل أمرين، إمّا حقّ وإمّا باطل، حذّر السلف رحمهم الله من هذه اللفظة، وهي كلمة: «لفظي بالقرآن مخلوق»، لأنه كما ذكرنا يحتمل أمرين؛ ولهذا قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «من قال: «لفظي بالقرآن مخلوق» فهو جهمي؛ ومن قال: «لفظي بالقرآن غير مخلوق» فهو مبتدع»؛ «السنة» لعبد الله بن أحمد (١/ ١٦٤ - ١٦٥).

فالإمام أحمد حكم على من قال: «لفظي بالقرآن مخلوق» أنّه جهمي؛ لأنّ الجهمية يقولون: إنّ القرآن مخلوق. ثم لجأ بعضهم إلى هذه الحيلة، وهي قولهم: «ألفاظنا بالقرآن مخلوقة» وهم يريدون القرآن، فسُمُّوا باللفظية، وهم فرقة من الجهمية، لذلك قال الإمام أحمد: «اللفظية جهمية».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتاوى» (١٢/ ١٧٠ - ١٧١): «وهكذا أنكر الأئمة قول من قال: «لفظي بالقرآن مخلوق» أو «غير مخلوق». وقالوا: من قال:

«هو مخلوق» فهو جهمي، ومن قال: «غير مخلوق» فهو مبتدع.

وكذلك قالوا في التلاوة والقراءة، لأن اللفظ والتلاوة والقراءة يراد بهما المصدر الذي هو فعل العبد، وأفعال العباد مخلوقة، فمن جعل شيئا من أفعالهم وأصواتهم وغير ذلك من صفاتهم غير مخلوق فهو مبتدع، ويراد بـ«اللفظ» نفس الملفوظ، كما يراد بالتلاوة والقراءة نفس الكلام، وهو القرآن نفسه. ومن قال: كلام الله الذي أنزله على نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وقرأه المسلمون مخلوق، فهو جهمي» اهـ.

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «من قال: «لفظي بالقرآن مخلوق» أو «القرآن بلفظي مخلوق» فهو جهمي»، «شرح أصول السنة» للالكائي برقم (٥٩٩).

وقال الإمام محمد بن الحسين الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ في «الشريعة» (١/ ٥٣٤- ٥٤٥): «احذروا رحمكم الله هؤلاء الذين يقولون: «لفظي بالقرآن مخلوق»، وهذا عند أحمد بن حنبل ومن كان على طريقته منكر عظيم، وقائل هذا مبتدع، خبيث ولا يُكَلم، ولا يُجَالس، ويحذر منه الناس، لا يعرف العلماء غير ما تقدم ذكرنا له، وهو أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، ومن قال: «مخلوق»، فقد كفر، ومن قال: «القرآن كلام الله» ووقف فهو جهمي ، ومن قال: «لفظي بالقرآن مخلوق» فهو جهمي أيضا، كذا قال أحمد بن حنبل، وغلّظ فيه القول جدًّا وكذا من قال: «إن هذا القرآن الذي يقرؤه الناس، وهو في المصاحف، حكاية لما في اللوح المحفوظ»، فهذا قول منكر ينكره العلماء» اهـ.

وقد ذكر الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ هذه المسألة في «شرح العقيدة الواسطية» (٢/ ٩٥ - ٩٦)، فقال: «وقد قال الإمام أحمد: «من قال: لفظ بالقرآن مخلوق؛ فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق؛ فهو مبتدع».

فنقول: اللفظ يطلق على معنيين: على المصدر الذي هو فعل الفاعل، وعلى الملفوظ

به:

○ أما على المعنى الأول الذي هو المصدر؛ فلا شك أن ألفاظنا بالقرآن وغير القرآن مخلوقة، لأننا إذا قلنا: إن اللفظ هو التلفظ؛ فهذا الصوت الخارج من حركة الفم واللسان والشفتين مخلوق. فإذا أريد باللفظ التلفظ؛ فهو مخلوق، سواء كان الملفوظ به قرآنًا أو حديثًا أو كلامًا أحدثته من عندك.

○ أما إذا قصد باللفظ الملفوظ به؛ فهذا منه مخلوق، ومنه غير مخلوق. وعليه؛ إذا كان الملفوظ به هو القرآن؛ فليس بمخلوق.

هذا تفصيل القول في هذه المسألة.

لكن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «من قال: لفظي بالقرآن مخلوق؛ فهو جهمي»! قال ذلك لأحد احتمالين:

○ إمّا أنّ هذا القول من شعار الجهمية، كأنّ الإمام أحمد يقول: إذا سمعت الرجل يقول: «لفظي بالقرآن مخلوق»، فاعلم أنه جهمي.

○ وإمّا أن يكون ذلك حين يريد القائل باللفظ الملفوظ به، وهذا أقرب؛ لأن الإمام أحمد نفسه فسره؛ قال: «من قال: لفظي بالقرآن مخلوق؛ -يريد القرآن-، فهو جهمي».

وحينئذ يتضح معنى قوله: «من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو جهمي»، لأنه أراد الملفوظ به. ولا شك أن الذي يريد باللفظ هنا الملفوظَ به فهو جهمي، أما من قال: «غير مخلوق»؛ فالإمام أحمد يقول: مبتدع؛ لأن هذا ما عهد عن السلف، وما كانوا يقولون مثل هذا القول، يقولون: القرآن كلام الله؛ فقط» اهـ.

قلت: فخلاصة القول أنّ القرآن كلام الله حيث تصرف، سواء كان محفوظًا في الصدور، أو متلُوًّا بالألسنة، أو مكتوبًا في المصاحف، فلا يخرج بذلك أن يكون كلامه،

وهو منزل غير مخلوق.

وأمّا كتابة العباد، وأصواتهم، والورق الذي كتب عليه القرآن، والمِدَاد الذي كتب به، فهذه كلها مخلوقة؛ فإنّ جميع ما يرجع إلى ذوات العباد وأوصافهم مخلوق، وأمّا الذي يرجع إلى الله تعالى ويُضاف إليه، فإنه كلامه غير مخلوق، وهذا هو الفرق، واضح شرعًا وعقلًا.

وقوله: «فإنَّ كَلامَ الله بِاللَّفْظِ يُوضَحُ»:

أي: إنّ القرآن كلام الله، ألفاظه ومعانيه، ليس كلام الله اللفظ دون المعنى، ولا المعنى دون اللفظ، وإنما اللفظ يوضح به المعنى، ويبيّن به المراد، والله أعلم.

رُؤْيَةُ الله عَزَّ وَجَلَّ

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦- وَقُــلْ يَـتَجلَّى الله للخَلْـقِ جَـهْــرةً كَـمَا البـدْرُ لا يَخْفـى وَرَبُّـكَ أَوْضَــحُ

يقرّر الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا البيت إثبات رؤية الله، وأنّ الله عَزَّوَجَلَّ يتجلى، أي: يظهر للخلق عيانًا جهارًا، ليس بين الله وبينهم ما يحجبهم.

قوله: «كَمَا البدْرُ»:

أي: كالقمر ليلة النصف، وهي ليلة الرابع عشر، والكاف هنا للتشبيه، و(ما) زائدة.

◈ ومن الأدلّة على رؤية المؤمنين ربهم عَزَّوَجَلَّ:

قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢- ٢٣].

وقوله تعالى: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: ٢٣].

وقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وقوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥].

وأخبر الله أنّ الكفار لا يرونه، فقال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير الآية: «أي: لهم يوم القيامة أي: لهم يوم القيامة منزل ونزل سجين، ثم هم يوم القيامة مع ذلك محجوبون عن رؤية ربهم وخالقهم.

قال الإمام أبو عبد الله الشافعي: وفي هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه عَزَّوَجَلَّ يومئذ.

وهذا الذي قاله الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ، في غاية الحسن، وهو استدلال بمفهوم هذه

الآية، كما دل عليه منطوق قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]. وكما دلت على ذلك الأحاديث الصحاح المتواترة في رؤية المؤمنين ربهم عَزَّوَجَلَّ في الدار الآخرة، رؤية بالأبصار في عرصات القيامة، وفي روضات الجنان الفاخرة» اهـ.

والزيادة في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وقوله: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]، هي: النظر إلى الله، كما في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم (١٨١) عن صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّوَجَلَّ**».

وجاء في الصحيحين عن أبي هريرة وأبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ الله، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟**» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟**» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ، كَذَلِكَ**»؛ أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢).

وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِ، عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ**»؛ أخرجه البخاري (٤٨٧٨)، ومسلم (١٨٠).

ومن أدلّة الرؤية ما ثبت عن فضالة بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان يدعو بهذه الدعوات: «**اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَبَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ مِنْ غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ**»؛

أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٤٣٦)، وهو في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» لشيخنا مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ.

تَنْزِيهُ اللهِ سُبْحَانَهُ عَنِ الشَّبِيهِ وَالْمَثِيلِ

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧- وَلَـيْسَ بمْولُـودٍ ولـيسَ بِـوَالِـدٍ وَلَـيسَ لـهُ شِـبْهٌ تَعَـالَى المسَبَّـحُ

في هذا البيت يبين المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا سمي له، أي: لا نظير له يستحق مثل اسمه، كما قال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، أي: لا أحد يساميه أو يماثله، ولا كفو له والمكافئ هو المماثل، أي لا مثل له، كما قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص]، ولا ندّ له والنّد هو الشبيه والنظير، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

فربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يشابهه شيء، ولا يماثله شيء، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

◈ وفي هذه الآية رد على طائفتين ضالتين:

الطائفة الأولى: الممثلة الذين غلوا في إثبات الصفات، أثبتوا الصفات لكنهم غلوا فيها حتى مثّلوا صفات الله بصفات خلقه.

والطائفة الثانية: المعطلة، وهم الذين نفوا صفات الله، فهم نزّهوا الله بزعمهم، فغلوا في التنزيه حتى نفوا صفات الله تعالى.

وهذه الآية جمعت بين إثبات الصفات لله ونفي التمثيل عنها، وقد جمع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيما وصف وسمّى به نفسه بين النفي والإثبات في «سورة الإخلاص» التي تعدل ثلث القرآن فقال عزَّ مِن قَائل: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ

﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾.

فهذه السورة العظيمة سميت «سورة الإخلاص» لأنّها أخلصت في صفات الله، فهي مخلَصة - بفتح اللام - لأنّ الله أخلصها لنفسه، ولأنها تخلص قارئها من الشرك، وهي تعدل ثلث القرآن، ففي «صحيح البخاري» (٥٠١٥) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟**» فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ الله؟ فَقَالَ: «**الله الوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ القُرْآنِ**».

وفي «صحيح مسلم» (٨١١) عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟**» قَالُوا: وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ **تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**».

فهي تعدل ثلث القرآن، **لأنّ معاني القرآن ثلاثة أنواع**:

١) توحيد؛ ٢) وقصص؛ ٣) وأحكام.

فهذه السورة فيها صفة الرحمن، فهي في التوحيد وحده، فصارت تعدل ثلث القرآن، وقد أشار إليها الناظم بقوله:

٧- وَلَـيْسَ بمْولُـودٍ ولـيسَ بِـوَالِـدٍ وَلَـيسَ لَـهُ شِـبْهٌ تَعَـالَى المسَبَّـحُ

ومعنى الـمُسبَّح، أي: الـمُنَزَّه عن كل نقص وعيب، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «الواسطية»: «فسَبَّحَ نفسه عمّا وصفه به المخالفون للرسل، وسلَّم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب» اهـ.

قال الله سبحانه: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾، وقال: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير آية (١٠٠) من سورة الأنعام: «أي: تقدّس وتنزّه وتعاظم عما يصفه هؤلاء الجهلة الضالون من الأولاد والأنداد والنظراء والشركاء» اهـ.

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ ۚ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء: ١٧١].

وقال عزَّ شأنه: ﴿ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس: ١٨].

وقال سبحانه: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٢ - ٤٣].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير هذه الآية: «...ثم نزه نفسه الكريمة وقدسها فقال: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ ﴾، أي: هؤلاء المشركون المعتدون الظالمون في زعمهم أن معه آلهة أخرى؛ ﴿ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ أي: تعاليًا كبيرًا، بل هو الله الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد» اهـ.

يقول الله سبحانه: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٤].

يقول تعالى: تقدّسه السماوات السبع والأرض ومن فيهن، أي: من المخلوقات،

وتُنزِّهه وتُعظِّمه وتُبجِّله وتُكبره عمّا يقول هؤلاء المشركون، وتشهد له بالوحدانية في ربوبيته وإلهيّته.

فَفِـــي كُـــلِّ شَيْءٍ لَـــهُ آيَـــةٌ تَـــدُلَّ عَـــلَى أَنَّـــهُ الْوَاحِـــدُ

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦- وَقُـــلْ يَـتَجلَّى الله للخَلْـقِ جَـهْـــرةً كَـمَا البـدْرُ لا يَخْفـى وَرَبُّـكَ أَوْضَـــحُ

وخلاصة القول في هذا البيت: أنّ الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ، لمّا أثبت رؤية المؤمنين لربهم عَزَّوَجَلَّ، أراد أن يبين أن الله عَزَّوَجَلَّ يُرى رؤية حقيقية، وأنه لا شبيه له، ولا نظير له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فتشبيه رؤية الله تعالى برؤية الشمس والقمر هو تشبيه الرؤية بالرؤية، لا تشبيه المرئي بالمرئي؛ وانظر «شرح العقيدة الواسطية» (ص/ ١٩٥).

فمعنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ**»، أي كرؤيتكم هذا القمر، فهو تشبيه للرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي.

إِنْكَارُ الْجَهْمِيَّةِ رُؤْيَةَ الله عزَّ وَجَلّ

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٨- وَقَـدْ يُنكِـرُ الجَهْمـيُّ هَـذَا وعِنْـدَنَا بِمِصْـدَاقِ ما قُلْنَـا حَـدِيثٌ مُصَـرِّحُ

يخبر الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ أنّ الجهمية أنكروا الرؤية، والجهمية هم أتباع الجهم بن صفوان الضال المبتدع، وممن أنكر الرؤية أيضًا المعتزلة، وهم أتباع واصل بن عطاء الغزّال، الذي اعتزل مجلس الحسن البصري، فسمّوا بالمعتزلة.

ولهم شُبَهٌ في إنكار الرؤية، قالوا: إنّ إثبات الرؤية يلزم إثبات أن الله في جهة، ولو كان في جهة لكان جسمًا، والله مُنزَّه عن ذلك.

والجواب عن هذه الشبهة: أن نقول:لفظ (الجهة) فيه إجمال؛ فإن أريد بالجهة أنه حالٌّ في شيء من مخلوقاته فهذا باطل، والأدلة ترده، وهذا لا يلزم من إثبات الرؤية، وإن أريد بالجهة أنّه سبحانه فوق مخلوقاته، فهذا ثابت لله سبحانه، ونفيه باطل، وهو لا يتنافى مع رؤيته سبحانه؛ «شرح العقيدة الواسطية» للفوزان (ص/ ٩٨).

واحتجوا بقوله تعالى لموسى: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، **والردّ عليه من وجوه:**

أولا: إنّ سؤال موسى الرؤية يدل على إمكانه؛ إذ أنها لو كانت ممتنعة لما طلبها موسى أصلًا، وموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ هو كليم الله، وهو أعلم الناس بربِّه في وقته، ولَـمَا سأل ما لا يجوز عليه أن يسأل.

ثانيًا: إنّ الله لم يُنكِر على موسى سؤاله، ولمّا سأل نوح ربّه نجاة ابنه أنكر سؤاله وقال: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦].

ثالثًا: قال له: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾، ولم يقل: إنّي لا أُرى، أو لا يجوز رؤيتي، أو لست

بمرئي.

رابعًا: قوله: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فعلّق الرؤية على استقرار الجبل، وهو أمر ممكن في نفسه، والمعلّق على الممكن ممكن، لأنّ معنى التعليق الإخبار بوقوع المعلق عند وقوع المعلق به، والمحال لا يثبت على شيء من التقادير الممكنة.

خامسًا: قوله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فإذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد، فكيف يمتنع أن يتجلى لرسله وأوليائه في دار كرامته.

سادسًا: وأما قولهم: إنّ لن تفيد التأبيد؛ أي: لتأبيد النفي، وأنها تدل على عدم وقوع الرؤية أصلًا، فهو كذب على اللغة العربية، وقد قال الله تعالى حكاية عن الكفار: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا﴾ [البقرة: ٩٥]، أي: الموت، ثم قالوا: ﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، فأخبر عن عدم تمنيهم للموت بـ«لن»، ثم أخبر عن تمنيهم له وهم في النار، ولو كانت تفيد التأبيد لما حسن ذكر لفظ الأبد بعدها، ولو كانت أيضًا تفيد التأبيد المطلق لما جاز تحديد الفعل بعدها، مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ﴾ [يوسف: ٨٠].

فثبت أنّ «لن» لا تقتضي النفي المؤبد، قال ابن مالك رَحِمَهُ اللَّهُ في «ألفيته»:

وَمَنْ رَأَى النَّفْيَ بِـ«لَنْ» مُؤَبَّدا ... فَقَوْلَهُ ارْدُدْ وَسِوَاهُ فَاعْضُدا

وأمّا إفادة التأبيد في قوله: ﴿لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا﴾ [الحج: ٧٣]، وأمثالها فليس مما أفادته «لن»، وإنما هو لدليل آخر.

قال الهراس رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح الواسطية» (ص/ ٢٣٩ - ٢٤٠): «فمعنى قوله: ﴿لَن

تَرَىٰنِي ﴾: لن تستطيع رؤيتي في الدنيا؛ لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته سبحانه، ولو كانت الرؤية ممتنعة لذاتها لقال: إني لا أُرى، أو لا يجوز رؤيتي، أو لست بمرئي ونحو ذلك، والله أعلم» اهـ.

قلت: وهذا يوافق ما قاله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّوَجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ**»؛ أخرجه مسلم (١٦٩) عن بعض أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

ومن شُبَه المنكرين للرؤية: أنّهم احتجوا بقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

والجواب: أنّ الإدراك هو الإحاطة، ونفي الإدراك لا يستلزم نفي الرؤية، فالمراد أنّ الأبصار تراه ولكن لا تحيط به رؤية، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ عن جمع موسى وفرعون: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ [الشعراء: ٦١].

فتبيّن بهذا أنّ نفي الإدراك لا ينفي الرؤية بل يثبتها بالمفهوم؛ فإنّه لو أراد نفي الرؤية لقال: لا تراه الأبصار.

قال ابن القيّم:

وَيَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ مِنْ فَوْقِهِمْ ... نَظَرَ الْعَيَانِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ
هَذَا تَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِ الله لَمْ ... يُنْكِرْهُ إِلاَّ فَاسِدُ الإِيمَانِ
وَأَتَى بِهِ الْقُرْآنُ تَصْرِيحًا وَتَعْـ ... ـرِيضًا هُمَا بِسِيَاقِهِ نَوْعَانِ
وَهِيَ الزِّيَادَةُ قَدْ أَتَتْ فِي يُونُسٍ ... تَفْسِيرُ مَنْ قَدْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ

وقد تكلّف المعتزلة فقالوا في قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]، فجعلوا ﴿نَاظِرَةٌ﴾ بمعنى منتظرة، و﴿إِلَىٰ﴾ بمعنى النعمة، والتقدير: أي منتظرة إلى ثواب ربها؛ فهو تأويل مضحك؛ «الأسئلة والأجوبة على العقيدة الواسطية»

(ص/ ٢٣٩- ٢٤٠).

«﴿ نَّاضِرَةٌ ﴾؛ أي: حسنة، من النضارة؛ بالضاد، وهي: الحسن، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾ [الإنسان:١١]؛ أي: حسناً في وجوههم، وسروراً في قلوبهم.

قوله: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾: ﴿ نَاظِرَةٌ ﴾؛ بالظاء، من النظر، وهنا عدي النظر بـ ﴿ إِلَىٰ ﴾ الدالة على الغاية، وهو نظر صادر من الوجوه، والنظر الصادر من الوجوه يكون بالعين؛ بخلاف النظر الصادر من القلوب؛ فإنه يكون بالبصيرة والتدبر والتفكر؛ فهنا صدر النظر من الوجوه إلى الرب عَزَّوَجَلَّ؛ لقوله: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا ﴾.

فنفيد الآية الكريمة: أن هذه الوجوه الناضرة الحسنة تنظر إلى ربها عَزَّوَجَلَّ، فتزداد حسناً إلى حسنها»؛ «شرح العقيدة الواسطية» للهراس، (ص/ ١٥٦ - ١٥٨) تحقيق السقاف.

وهنا فائدة: النظر في كتاب الله يأتي وله عدّة معان:

- فإن عُدِّي بـ«إلى» أفاد المعاينة كما في هذه الآية.

- وإذا عُدِّي النظر بنفسه فمعناه التوقف والانتظار، كما في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ [الحديد: ١٣]، أي: انتظرونا.

- وإذا عُدِّي النظر بـ«في» فمعناه التفكر والاعتبار، كما قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، أي: أو لم يتفكروا في مخلوقات الله العلوية والسُّفليّة.

فهذا ردّ على شبهات المنكرين لرؤية الله عَزَّوَجَلَّ.

اسْتِدْلالُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى رُؤْيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِأَدِلَّةٍ صَحِيحَةٍ

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٩- رَوَاهُ جَرِيـــرٌ عـــن مَقَـــالِ مُحـــمَّدٍ فقُـلْ مِثْـلَ مـا قَـدْ قَـالَ فِي ذَاكَ تَـنْجَحُ

أشار الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ إلى أنّ أهل السنة يستندون في إثبات رؤية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إلى حديث صحيح صريح يثبت رؤية الله عَزَّوَجَلَّ وهو حديث جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه البخاري في «صحيحه» (٥٥٤)، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

حَدَّثَنَا الحُمَيْدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، عَنْ قَيْسٍ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ الله، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةً - يَعْنِي البَدْرَ - فَقَالَ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا**» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]، قَالَ إِسْمَاعِيلُ: «**افْعَلُوا لاَ تَفُوتَنَّكُمْ**». وأعاده البخاري برقم (٥٧٣، ٤٨٥١، ٧٤٣٤، ٧٤٣٥، ٧٤٣٦).

وأخرجه مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيحه» (٦٣٣)، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْفَزَارِيُّ، أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ، حَدَّثَنَا قَيْسُ بْنُ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ الله، وَهُوَ يَقُولُ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَقَالَ: «**أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**» - يَعْنِي الْعَصْرَ وَالْفَجْرَ -، ثُمَّ قَرَأَ جَرِيرٌ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠].

فهذا حديث صحيح صريح، سنده كالشمس، وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «حادي الأرواح» جمعا كبيرًا أَزْيَدَ من مائة رَوَوْهُ عن إسماعيل بن أبي خالد، وتابع إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم جمعٌ من الرواة، كلّهم رَوَوْهُ عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ثم قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» (ص/ ٣٠٠): «وكل هؤلاء شهدوا على إسماعيل بن أبي خالد، وشهد إسماعيل بن أبي خالد على قيس ابن أبي حازم، وشهد قيس بن أبي حازم على جرير بن عبد الله، وشهد جرير بن عبد الله على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فكأنك تسمع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وهو يقوله ويُبَلِّغُه لامته ولا شيء أقرّ لأعينهم منه» اهـ.

فهذه هي العقيدة الصحيحة: الاعتقاد بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة عيانًا بأبصارهم، كما يرون الشمس صحوًا ليس دونها سحاب، وكما يرون القمر ليلة البدر، لا يضامون في رؤيته، أي: لا يحصل لهم ضيم ولا ضرر، وهي ألذّ ما يُعطى المؤمنون عند ربهم، فاعتقد يا أيها السُّنِّيُّ هذه العقيدة كي تنجح وتفوز وتسعد.

اللهم إنّا نسألك لذّة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، من غير ضرّاء مُضرّة ولا فتنة مُضِلّة.

صِفَةُ الْيَدَيْنِ وَإِنْكَارُ الْجَهْمِيَّةِ لَهَا

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٠- وَقَدْ يُنكِرُ الجَهْمِيُّ أَيضًا يَمِينَهُ وَكِلْتَا يَدَيْهِ بالفواضِلِ تَنْفَحُ

يُبيِّن الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ أنّ الجهمية أنكروا صفة اليدين لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأهل السنة - ولله الحمد - يُثبِتون لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذه الصفة إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، خلافًا للجهمية والمعتزلة والأشعرية.

وأمّا أهل السنة فيثبتون لله يدين تليقان بجلاله وكماله سبحانه، وكلتا يديه يمين.

◈ وهاك الأدلّة على إثبات هذه الصفة:

○ قال الله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

قال الهراس رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح الواسطية» (ص/ ١١٥): «تضمنت هاتان الآيتان إثبات اليدين صفة حقيقية له سبحانه على ما يليق به، فهو في الآية الأولى يوبخ إبليس على امتناعه عن السجود لآدم الذي خلقه بيديه. ولا يمكن حمل اليدين هنا على القدرة؛ فإن الأشياء جميعا - حتى إبليس - خلقها الله بقدرته، فلا يبقى لآدم خصوصية يتميز بها» اهـ.

○ وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١].

○ وقال سبحانه: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠].

○ وقال جلّ شأنه: ﴿فَسُبْحَانَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٣].

○ وقال سبحانه: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾

[آل عمران: ٢٦].

○ وقال عز من قائل: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ [يس: ٧١].

○ قال الله سبحانه: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧].

وهناك أدلة أخرى كثيرة في إثبات صفة اليدين لله عَزَّوَجَلَّ.

◈ **ومن السنة في إثبات اليد لله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

١) ما جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديث الشفاعة العظمى: أنّ أهل الموقف يأتون آدم فيقولون: «**يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ الله بِيَدِهِ**»؛ أخرجه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

٢) وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَبُو النَّاسِ، خَلَقَكَ الله بِيَدِهِ**»؛ أخرجه البخاري (٤٤٧٦).

٣) وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عِنْدَ رَبِّهِمَا، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، قَالَ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي خَلَقَكَ الله بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ...**»؛ أخرجه البخاري (٣٤٠٩)، ومسلم (٢٦٥٢)، وهذا لفظه.

٤) وفي الحديث الآخر عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا: «**قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى اصْطَفَاكَ الله بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ...**»؛ أخرجه البخاري (٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢).

٥) وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ،**

حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»؛ أخرجه مسلم (٢٧٥٩).

٦) وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ الله عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّوَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا»؛ أخرجه مسلم (١٨٢٧).

٧) وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَقْبِضُ الله الأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَوَاتِ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ»؛ أخرجه البخاري (٤٨١٢)، ومسلم (٢٧٨٧).

٨) وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَصْعَدُ إِلَى الله إِلَّا الطَّيِّبُ، فَإِنَّ الله يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فُلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ»؛ أخرجه البخاري (٧٤٣٠)، ومسلم (١٠١٤).

٩) وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ يَمِينَ الله مَلْأَى لاَ يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ، وَعَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى الفَيْضُ - أَوِ القَبْضُ - يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ»؛ أخرجه البخاري (٧٤١٩) - واللفظ له -، ومسلم (٩٩٣)، والسّحُّ: هو الصَّبُّ الدَّائمُ.

وأما الشمال فقد رواها الإمام مسلم في «صحيحه» (٢٧٨٨): من طريق عُمَرَ بْنِ حَمْزَةَ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ الله، أَخْبَرَنِي عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يَطْوِي الله عَزَّوَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ. ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ:

أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟».

قال البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ في «الأسماء والصفات» (٢/ ١٣٩ - ١٤٠): «وذكر الشمال فيه تفرد به عمر بن حمزة عن سالم. وقد روى هذا الحديث نافع وعبيد الله بن مقسم عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، لم يذكرا فيه الشمال، ورواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فلم يذكر فيه أحد منهم الشمال.

وروي ذكر الشمال في حديث آخر في غير هذه القصة، إلا أنه ضعيف بمرة؛ تفرد بأحدهما جعفر بن الزبير، وبالآخر يزيد الرقاشي، وهما متروكان، وكيف يصح ذلك؟ وصحيح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه سمى كلتا يديه يمينا، وكأن من قال ذلك أرسله من لفظه على ما وقع له، أو على عادة العرب في ذكر الشمال في مقابلة اليمين» اهـ.

ونقل كلامه الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (١٣/ ٤٨٦) تحت حديث رقم (٧٤١٢) مُقِرًّا له.

قلت: وعمر بن حمزة هو ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب العمري ضعيف، كما في «التقريب».

هذا وقد أنكر المعطلة من الجهمية وغيرهم صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومنها صفة اليدين كما أشار إليه الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ في البيت بقوله:

١٠- وَقَدْ يُنكِرُ الجَهْمِيُّ أَيضًا يَمِينَهُ وَكِلْتَا يَدَيْهِ بالفواضِلِ تَنْفَحُ

وأوردوا شبهات في إثبات صفة اليدين لله سبحانه، وقالوا: إنّ المراد باليد القوة أو النعمة.

وقد ردّ عليهم أهل السنة بردود قويّة، منها ما قاله الهراس في «شرح العقيدة الواسطية» (ص/ ١١٦ - ١١٧)، قال: «...فلفظ اليدين بالتثنية لم يعرف استعماله إلا في

اليد الحقيقية، ولم يرد قط بمعنى القدرة أو النعمة؛ فإنه لا يسوغ أن يقال: خلقه الله بقدرتين أو بنعمتين. على أنه لا يجوز إطلاق اليدين بمعنى النعمة أو القدرة أو غيرهما إلا في حق من اتصف باليدين على الحقيقة، ولذلك لا يقال: للريح يد، ولا للماء يد.

وأما احتجاج المعطلة بأن اليد قد أُفردت في بعض الآيات، وجاءت بلفظ الجمع في بعضها؛ فلا دليل فيه؛ فإن ما يصنع بالاثنين قد ينسب إلى الواحد؛ تقول: رأيت بعيني، وسمعت بأذني، والمراد: عيناي، وأذناي.

وكذلك الجمع يأتي بمعنى المثنى أحيانا؛ كقوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤]، والمراد: قلباكما.

وكيف يتأتى حمل اليد على القدرة أو النعمة؛ مع ما ورد من إثبات الكف والأصابع واليمين والشمال والقبض والبسط وغير ذلك مما لا يكون إلا لليد الحقيقية؟!

وفي الآية الثانية يحكي الله سبحانه مقالة اليهود - قبحهم الله - في ربهم، ووصفهم إياه - حاشاه - بأن يده مغلولة؛ أي: ممسكة عن الإنفاق. ثم أثبت لنفسه سبحانه عكس ما قالوا، وهو أن يديه مبسوطتان بالعطاء؛ ينفق كيف يشاء؛ كما جاء في الحديث: «**إن يمين الله ملأى سحاء الليل والنهار؛ لا تغيضها نفقة**». ترى لو لم يكن لله يدان على الحقيقة؛ هل كان يحسن هذا التعبير ببسط اليدين؟! ألا شاهت وجوه المتأولين!».

وقد ردّ ابن القيم رحمه الله شبهات المنكرين لصفة اليدين لله سبحانه من عشرين وجهًا، نذكر بعضها:

«**أولًا**: أن الأصل في الكلام الحقيقة فدعوى المجاز مخالف للأصل.

ثانيًا: أن ذلك خلاف الظاهر، فقد اتفق الأصل والظاهر على بطلان هذه الدعوى.

ثالثًا: أن اطراد لفظها في موارد الاستعمال وتنوع ذلك، وتصريف استعماله يمنع

المجاز. ألا ترى في قوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وقوله: ﴿يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، فلو كان مجازاً في القدرة والنعمة لم يستعمل منه لفظ يمين، وقوله في الحديث الصحيح: «**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ** عَزَّوَجَلَّ، **وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ**»، فلا يقال هذا يد النعمة والقدرة.

وقوله: «يقبض الله سمواته بيده والأرض باليد الأخرى ثم يهزهن ثم يقول: أنا الملك». فهنا هزّ وقبض، وذكر يَدَيْنِ، ولما أخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ جعل يقبض يديه ويبسطهما تحقيقًا للصفة لا تشبيهًا.

رابعًا: أن مثل هذا المجاز لا يستعمل بلفظ التثنية، ولا يستعمل إلا مفرداً أو مجموعًا، كقولك: له عندي يد يجزيه الله بها، وله عندي أيادي. وأما إذا جاء لفظ التثنية لم يعرف استعماله قط إلا في اليد الحقيقية.

خامسًا: أنه ليس في المعهود أن يطلق الله على نفسه معنى القدرة والنعمة بلفظ التثنية، كقوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥]، وكقوله: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وقد يجمع النعم، كقوله: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]، وأما أن يقول: خلقتك بقدرتين أو بنعمتين، فهذا لم يقع في كلامه، ولا كلام رسوله.

سادسًا: أنه لو ثبت استعمال ذلك بلفظ التثنية لم يجز أن يكون المراد به هنا القدرة؛ فإنه يبطل تخصيص آدم، فإنه وجميع المخلوقات حتى إبليس مخلوق بقدرة الله.

سابعًا: إنّ هذا التركيب المذكور في قوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، يأبى حمل الكلام على القدرة، لأنه نسب الخلق إلى نفسه سبحانه، ثم عَدَّى الفعل إلى اليد ثم ثنّاها، ثم

أدخل عليها الباء التي تدخل على قوله: كتبت بالقلم، ومثل هذا نص صريح لا يحتمل المجاز بوجه...».

إلى أن قال: «وقد أجمع المسلمون المثبتون للصفات والنافون لها على أنه لا يجوز أن يكون لله قدرتان، فبطل ما قلتم» اهـ؛ وانظر: «مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية المعطلة» (ص/ ١٥٣، ١٧٤)، و«شرح العقيدة الواسطية» للشيخ ابن عثيمين (ص/ ٢٥٦، ٢٥٩).

والخلاصة: أنّ من صفات الله الذاتية اليد، فنثبتها كما جاءت، لكن الجهمية أنكروها كما أنكروا صفة الوجه والقدم والعين ونحوها من صفات الله عَزَّوَجَلَّ، والسنّيّ يعيش في راحة، وفي حياة طيبة، يؤمن بأسماء الله وصفاته كما جاءت، يقرأ في التنزيه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، ويقرأ في الإثبات: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ورحم الله ابن القيم الجوزية الذي قال في «مقدمة الصواعق المرسلة»: «وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الموصوفُ بصفاتِ الجلالِ، المنعوتُ بنعوتِ الكمالِ، المنَزَّهُ عمَّا يضادُّ كمالِه من سلبِ حقائقِ أسمائِهِ وصفاتِهِ، المستلزمِ لوصْفِه بالنقائصِ وشَبَهِ المخلوقين، فنفْيُ حقائقِ أسمائِهِ متضمنٌ للتعطيلِ والتشبيهِ، وإثباتُ حقائقِها على وجهِ الكمالِ الذي لا يستحقه سواه هو حقيقةُ التوحيدِ والتنزيه، فالمعطِّلُ جاحدٌ لكمالِ المعبودِ، والممثِّلُ مشَبِّهٌ له بالعبيدِ، والموحِّدُ مبينٌ لحقائقِ أسمائِهِ وكمالِ أوصافِهِ، وذلك قطبُ رحى التوحيدِ، فالمعطِّلُ يعبدُ عَدَمًا، والممثلُ يعبدُ صنماً، والموحِّدُ يعبدُ رباً ليس كمثلِهِ شيءٌ، له الأسماء الحسنى، والصفاتُ العلى، وَسِعَ كلَّ شيءٍ رحمةً وعلماً» اهـ.

ويدخل تحت إثبات صفة اليد لله عَزَّوَجَلَّ إثبات الكف لله، والأصابع، والقبض والبسط، واليمين، والأخذ، والأنامل، والإمساك، والطيّ، والحثّ، وهذه الصفات لا تكون إلا لليد الحقيقية، مما يدل على إثبات صفة اليدين لله عَزَّوَجَلَّ، كما جاء في حديث أبي

هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ، وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً، فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ**»؛ أخرجه البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤)، وهذا لفظ مسلم، وليس في «البخاري» ذكر الكفّ.

○ وإثبات الأصابع له سبحانه ورد في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: إنه سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ**» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**اللهمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ**»؛ أخرجه مسلم (٢٦٥٤).

وحديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: جَاءَ حَبْرٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَوْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَعَجُّبًا مِمَّا قَالَ الْحَبْرُ، تَصْدِيقًا لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]؛ أخرجه البخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦).

○ ودليل القبض قوله سبحانه في سورة البقرة: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وقوله سبحانه: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧]، وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أدلّة اليمين.

○ ودليل البسط الآية المتقدمة في سورة البقرة، وقوله سبحانه: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾

[المائدة: ٦٤]، وحديث أبي موسى المتقدم: «**إن الله يبسط يده...**»، وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم رقم (٧٥٨) في بعض طرق حديث النزول: «**ثم يبسط يديه تَبَارَكَ وَتَعَالَى يقول: من يقرض غير عدوم ولا ظلوم**».

○ ودليل الأخذ ما رواه مسلم تحت رقم (٢٧٨٨) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على المنبر وهو يقول: «**يَأْخُذُ الْجَبَّارُ عَزَّوَجَلَّ سَمَاوَاتِهِ وَأَرَضِيهِ بِيَدَيْهِ**»؛ وفي حديث أبي هريرة المتقدم مرفوعًا: «**مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ...**».

○ ودليل إثبات الأنامل حديث عبد الرحمن بن عائش الحضرمي، ومعاذ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صورة**»، وفيه: «**فرأيته وضع كفّه بين كتفي، حتى وجدت برد أنامله في صدري...**» رواه الترمذي، وأحمد وغيرهما وهو صحيح.

وانظر كلام الحافظ ابن حجر عليه في «الإصابة» ترجمة عبد الرحمن بن عائش، والرؤية في الحديث منامية.

○ ودليل الإمساك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر: ٤١]، وفي حديث ابن مسعود السابق: «**إن الله يمسك السموات على إصبع...**».

○ ودليل الطيّ قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**ويطوي السماء بيمينه**»، وقد تقدّم.

○ ودليل الحثي حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلاَ عَذَابَ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا وَثَلاَثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِهِ**»، رواه الترمذي (٢٤٣٧)، وابن ماجه (٤٢٨٦)، وأحمد (٥/ ٢٦٨)، وله شواهد يرتقي بها إلى درجة الصحة، وقد صححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح

الترمذي» و«السنة لابن أبي عاصم» (٥٨٩).

ومعنى قول الناظم: «تنفح»، أي: تعطي، فالنفح هو العطاء الواسع الكثير.

صِفَةُ النُّـزُول

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١١- وَقُـلْ يَنْـزِلُ الجَبَّـارُ فـي كُـلِّ لَيْلَـةٍ بِـلا كَيْـف جَـلَّ الواحـدُ المتَمَـدِّحُ

أي: اعتقد أيّها السُّنِّيُّ بهذه الصفة العظيمة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهي صفة النزول إلى سماء الدنيا، وأنّ الله ينزل نزولًا يليق بجلاله وكماله، كما في الحديث: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**»؛ أخرجه البخاري (١١٥٤)، ومسلم (٧٥٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأخرج أحمد في «مسنده» (٣٦٧٣) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِذَا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْبَاقِي، يَهْبِطُ الله عَزَّوَجَلَّ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يَبْسُطُ يَدَهُ، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى سُؤْلَهُ؟ فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ، حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ**»، وهو حديث صحيح، وهو في «الصحيح المسند» لشيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ.

وفي «صحيح مسلم» (٧٥٨) عن أبي سعيد، وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قالا: «**إِنَّ الله يُمْهِلُ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلُ، نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ**».

وعن رفاعة بن عرابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا مَضَى نِصْفُ اللَّيْلِ، أَوْ ثُلُثُ اللَّيْلِ يَنْزِلُ الله عَزَّوَجَلَّ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: لَا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي أَحَدًا غَيْرِي، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ**»؛ أخرجه أحمد (٤/ ١٦)، وهو صحيح، وصححه شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (١/ ٢٨١).

والأدلّة كثيرة متواترة تدلّ على نزول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وقوله: «الجبّار»:

يشير إلى أنّ من أسماء الله تعالى الجبار، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**تَكُونُ الأَرْضُ يَوْمَ القِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً، يَتَكَفَّؤُهَا الجَبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ، نُزُلًا لِأَهْلِ الجَنَّةِ**»؛ أخرجه البخاري (٦٥٢٠).

ومعنى الجبار: هو الذي أجبر الخلق وقهرهم على ما أراد من أمر ونهي؛ انظر «جامع الأصول» (٤/ ١٧٧).

وقال قتادة: الجبار الذي جبر خلقه على ما يشاء.

وقال ابن جرير: الجبار المصلح من أمور خلقه، المتصرف فيهم بما فيه صلاحهم؛ اهـ من «تفسير ابن كثير» عند تفسير الآية المذكورة.

وقوله: «بلا كيف»:

التكييف: هو أن يعتقد أنّ صفاته تعالى على كيفية كذا، أو يسأل عنها بالكيف، وليس المراد من قوله: «بلا كيف» أنهم ينفون الكيفية مطلقًا؛ فإنّ كل شيء لابد أن يكون على كيفية ما، ولكن المراد أنهم ينفون علمهم بالكيف؛ إذ لا يعلم كيفية ذاته وصفاته إلا هو سبحانه؛ انظر: «شرح العقيدة الواسطية» للهراس (٦٩).

فأهل السنة لا يُكيِّفون، يعني: لا يقولون: صفة النزول كذا، أو صفة اليد كهذا، أو صفة الوجه كذا، وقد صَحَّ عن الإمام مالك أنّ رجلا دخلَ عليه فقال: يا أبا عبد

الله، ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]، فكيف استوى؟ قال: فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء، ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعا. فأمر به أن يخرج؛ رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦٦، ٨٦٧)، واللالكائي (٦٦٤).

وقوله: «جلّ»:

أي: عظم قدره عن التكييف، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ تَبَارَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ [الرحمن: ٧٨].

وقوله: «الواحد»:

وهو اسم من أسماء الله تعالى، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾ [الزمر: ٤]، وعن أبي مسعود الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**اللهُ الوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ القُرْآنِ**»؛ أخرجه ابن ماجه (٣٧٨٩) وهو صحيح، وذكره شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين».

ومعناه: قال السعدي: هو الذي توحد بجميع الكمالات، لا يشاركه فيها مشارك، ويجب على العبيد توحيده عقدًا وقولًا وعملًا، بأن يعترفوا بكماله المطلق.

وقال أيضا عند قول الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾، أي: الواحد في ذاته، وفي أسمائه، وفي صفاته، وفي أفعاله، فلا شبيه له في شيء من ذلك، ولا مماثل؛ اهـ.

وقوله: «المتمدح»:

هي صفة للواحد، ومعناه: أي الذي يمدحه المؤمنون، ويمجدونه، ويثنون عليه سبحانه، وقد كان من دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»، كما في مسلم (٤٨٦) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٢- إلى طَبَقِ الدُّنيا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ فَتُفْرَجُ أَبْوابُ السَّماءِ وتُفْتَحُ

خلق الله عَزَّوَجَلَّ السموات سبعًا، وجعلها طبقة بعد طبقة، قال الله سبحانه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾ [الملك: ٣].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي كلّ واحدة فوق الأخرى، ولسن طبقة واحدة، وخلقها في غاية الحسن والإتقان»؛ اهـ.

فالطبق هو الغطاء، والسماء غطاء للأرض، وسميت سماء الدنيا لدُنُوِّها من الأرض.

قوله: «يمنّ بفضله»:

أي: يعطي بفضله، فهو سبحانه يمنّ على عباده بإحسانه وإنعامه ورزقه إياهم، ويعطيهم عطاءً كثيرًا جزيلًا؛ ولذلك ثبت أنّ من أسمائه المنان، فقد أخرج ابن ماجه (٣٨٥٨) عن أنس بن مالك قال: سَمِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَقُولُ: اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، فَقَالَ: «**لَقَدْ سَأَلَ الله بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ**».

وقوله: «فَتُفْرَجُ أَبْوابُ السَّماءِ وتُفْتَحُ»:

أي: تنشق وتنفتح، وقد جاءت أدلّة على أنّ للسماء أبوابًا، وأنّها تفتح منها:

١) حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المتقدم: «**ثم تفتح أبواب السماء**»، وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ**»؛ أخرجه البخاري (١٨٩٩) - واللفظ له -، ومسلم (١٠٧٩).

٢) وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذْ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: الله أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لله كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ الله بُكْرَةً وَأَصِيلًا، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**من الْقَائِلُ كَلِمَةَ كَذَا وَكَذَا؟**» قَالَ رَجُلٌ مَنِ الْقَوْمِ: أَنَا، يَا رَسُولَ الله قَالَ: «**عَجِبْتُ لَهَا، فُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ**»؛ أخرجه مسلم (٦٠١).

٣) وكذا حديث المعراج الذي أخرجه البخاري (٧٥١٧) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «لما عرج به جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم عرج به إلى السماء الدنيا، فضرب بابًا من أبوابها...» الحديث؛ ورواه مسلم (١٦٢)، وجاء عن مالك بن صعصعة عند البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٤).

٤) وحديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطويل في فتنة القبر عندما تقبض الروح، وفيه: «**حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيفتح لهم...**»؛ الحديث أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/ ٣٨٠)، وذكره شيخنا في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين».

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٣- يَقولُ: ألا مُسْتغفِـرٌ يَلْـقَ غَافِـرًا ومُسْـتَمنِحٌ خَـيْرًا ورِزقًـا فأمْنَـحُ

معنى هذا: أنّ الله سبحانه هو الذي يقول: هل من مستغفر فأغفر له، هل من سائل فأعطيه، وليس كما يقول المعطّلة: إنّ الذي يقول ذلك هو الملك. فهذا في غاية البطلان.

وقوله: «ألا»:

هي أداة تحضيض، ففيها الحث على الاستغفار، وجاء في حديث أبي ذرّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطويل عند مسلم (٢٥٧٧) عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فيما يرويه عن ربه عَزَّوَجَلَّ: «**يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ**،...» الحديث.

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «**قَالَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**»؛ أخرجه الترمذي (٣٥٤٠)، وفي سنده كثير بن فائد، وهو مجهول الحال، لكن الحديث له شواهد فهو يصلح للاحتجاج.

◈ وقد جاءت أدلة في الحث على الاستغفار:

قال الله تعالى في شأن نبيه نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠ - ١٢].

وقال سبحانه في شأن هود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢].

فالاستغفار يعتبر تخليصًا من الذنوب، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وقوله: «يَلْقَ غَافِرًا»:

هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى القائل عن نفسه: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [غافر: ٣].

والقائل سبحانه: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

والقائل سبحانه: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾، أي: يغفر ما سلف من الذنب، ويقبل التوبة في المستقبل لمن تاب إليه وخضع لديه.

وقوله: «ومستمنح»:

أي: من يطلب المنح وهو العطاء، ومنه قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ مَنَحَ مَنِيحَةً وَرِقًا، أَوْ ذَهَبًا، أَوْ سَقَى لَبَنًا، أَوْ أهدَى زِقَاقًا، فَهُوَ كَعَدْلِ رَقَبَةٍ**»؛ فالمنحة العطية؛ أخرجه أحمد (٤/ ٣٠٤)، والترمذي (٦/ ٩٠) وهو صحيح عن البراء بن عازب.

قوله: «خيرا»:

الخير: ضِدُّ الشرّ.

قوله: «ورِزْقا»:

الرزق: هو العطاء، كما قال تعالى: ﴿فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النساء: ٨].

ويطلق الرزق على النصيب، قال تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢]، ويطلق الرزق على ما ينتفع به.

والأرزاق نوعان: ظاهرة للأبدان والأقوات، وباطنة للقلوب والنفوس كالمعارف والعلوم؛ «النهاية» لابن الأثير (٢/ ٥٠٨).

وأعظم الرزق هو: العلم النافع، والعمل الصالح، أو رزق الهداية، قال شيخ

الإسلام ابن تيمية في قصيدته اللامية:

يَـا سَـائِلِي عَـنْ مَـذْهَبِي وَعَقِيـدَتِي رُزِقَ الْـهُدَى مَـنْ للهدَايَـةِ يَسْـأَلُ

وقوله: «فَيَمْنَحُ»:

أي: فيعطى سؤله وحاجته، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال في الحديث: «**يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ**»؛ أخرجه مسلم عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢٥٧٧).

أَحَادِيثُ النُّزُولِ مُتَوَاتِرَةٌ

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٤- رَوَى ذَاكَ قَــومٌ لا يُــرَدُّ حَــدِيثَهم ... ألا خَـابَ قَــوْمٌ كذَّبــوهُم وقُبِّحُـوا

أي: روى أحاديث النزول أقوامٌ لا يُردّ حديثهم؛ لأنهم ثقات أثبات عدول، والعدل: هو المسلم العاقل البالغ الذي سلم من أسباب الفسق، وخوارم المروءة.

وأحاديث النزول متواترة، فقد قال اللالكائي في «أصول اعتقاد أهل السنة» (٧٤٢): «سياق ما رُوي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في نزول الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى، رواه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عشرون نفسًا».

ثم ساقها رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقال الإمام الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ في «الشريعة» (٦٩٨): «وقد روى هذا الحديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ جماعة كثيرة، بسنن ثابتة عند أهل العلم».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح حديث النزول» (ص/ ٦٩): «قد استفاضت به السنّة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، واتّفق سلف الأمّة وأئمّتها وأهل العلم بالسنة والحديث على تصديق ذلك وتلقّيه بالقبول» اهـ.

وقال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في «مختصر العلو» (ص/ ١١٠): «وأحاديث نزول الباري متواترة، قد سقت طرقها وتكلمت عليها بما أُسأل عنه يوم القيامة، فلا قوّة إلّا بالله العلي العظيم».

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ (ص/ ١١٦): «وقد ألّفت أحاديث النزول في جزء، وذلك متواتر أقطع به.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ كما في «مختصر الصواعق المرسلة» (ص/ ٢٢١): «إن نزول

الربّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إلى سماء الدنيا قد تواترت الأخبار به عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، رواه عنه نحو ثمانية وعشرين نفسًا من الصحابة» اهـ.

والناظم رَحِمَهُ اللَّهُ يشير إلى الردّ على المعتزلة الذين يردون أحاديث الآحاد، فأراد أن يبين أن أحاديث النزول متواترة، ولا يمكن ردّها أبدًا.

ثم إنّ مسألة تقسيم الأحاديث إلى متواتر وآحاد بدعة، أحدثها المبتدعة بقصد ردّ الأحاديث، ومن أولئك المبتدعة الجهمية والمعتزلة.

قال شيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في «المقترح» (ص/ ١٧٣): «أما تقسيم الحديث إلى آحاد ومتواتر، فهو تقسيم مبتدع، وأول من ابتدع هذا هو عبد الرحمن بن كيسان الأصم الذي قال فيه بعضهم: وهو عن الحق أصم. وتبعه على ذلك تلميذه إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم الشهير بابن علية» اهـ؛ وانظر: «تحفة المجيب على أسئلة الحاضر والغريب» (ص/ ٩٨) للشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وينبغي أن يعلم أن خبر الواحد العدل عند أهل الحديث يوجب العلم والقبول له على ما تقتضيه من العمل وجوبًا واستحبابًا، والجهمية والمعتزلة أصحاب أهواء؛ فهم يأخذون ما يوافق أهواءهم، وما لم يوافق أهواءهم يردونه، بزعم أنّه آحاد، أمّا أهل السنة فهم يقبلون من نقل إليه من الأخبار الصحيحة التي صحّت، سواء في العقيدة أو الأحكام.

قال الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ في «الشريعة»: «باب الإيمان والتصديق بأن الله عَزَّوَجَلَّ ينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة».

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ: الإيمان بهذا واجب ، ولا يسع المسلم العاقل أن يقول: كيف ينزل؟ ولا يرد هذا إلا المعتزلة، وأما أهل الحق فيقولون: الإيمان

به واجب بلا كيف ، لأن الأخبار قد صحت عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: أن الله عَزَّوَجَلَّ ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة.

والذين نقلوا إلينا هذه الأخبار هم الذين نقلوا إلينا الأحكام من الحلال والحرام ، وعلم الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، والجهاد ، فكما قَبِلَ العلماء عنهم ذلك كذلك قبلوا منهم هذه السنن ، وقالوا: من ردها فهو ضال خبيث ، يحذرونه ويحذرون منه» اهـ.

ثم ساق بسنده: «عن – عباد يعني ابن العوام –: قدم علينا شريك واسطًا فقلنا له: إن عندنا قوما ينكرون هذه الأحاديث: «**إن الله عَزَّوَجَلَّ ينزل إلى السماء الدنيا**»، فقال شريك: إنما جاءنا بهذه الأحاديث من جاء بالسنن عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج ، وإنما عرفنا الله عَزَّوَجَلَّ بهذه الأحاديث»؛ «الشريعة» للآجري عند الأثر رقم (٦٩٥)، والأثر صحيح.

وممن ردّ صفة نزول الله إلى سماء الدنيا الأشاعرة، والماتريدية.

وقوله: «ألا خاب قوم كذبوهم»:

أي: خسر، وحرم، ومنع الخير من كذب هؤلاء الرواة، الذين رووا ونقلوا صفة النزول عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وقوله: «وقُبحوا»:

أي: أُبعدوا عن الخير، عن الفوز، وفي «مختار الصحاح»: «قبّحه الله: نحّاه عن الخير»؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴾ [القصص: ٤٢] من المبعدين الملعونين.

هذا وقد أنكر نفاة الصفات نزول الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إلى سماء الدنيا، وقالوا: المراد

بالنزول هو نزول أمره أو رحمته.

وقد ردّ شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ على من أنكر صفة نزول الرب سبحانه، وتأوّله على نزول أمره، أو نزول رحمته، أو نزول ملك، أو غير ذلك في «شرح حديث النزول» (ص/ ١٣٧) وما بعدها، وبيّن بطلان هذه التأويلات الباطلة.

قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ معلّقا على حديث أبي هريرة «**ينزل ربنا...**» الحديث، كما في «مختصر العلو للعلي الغفار» للذهبي (ص/ ١١٥ -١١٦): «اشتهر تأويل هذا الحديث عند نفاة الصفات، بأن المراد بالنزول نزول أمر الله تعالى ورحمته، ومع أن هذا التأويل باطل من وجوه كما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه: «شرح حديث النزول»، من ذلك سياق الحديث، فإن قوله: «**أنا الملك** ...» إلخ، صريح في أن الله تعالى هو الذي ينزل.

قال شيخ الإسلام (ص/ ٣٦): «وقد سئل بعض أئمة نفاة العلو عن النزول؛ فقال: ينزل أمره، فقال له السائل: فممن ينزل؟ إن عندك فوق العالم شيء فممن ينزل الأمر؟ من العدم المحض؟ فبهت».

ومن أغرب التأويلات التي رأيتها لبعض النفاة قول الشيخ أبو زهرة في «المذاهب الإسلامية» (ص/ ٣٢٥): «ويصح أن يفسر النزول إلى السماء الدنيا بمعنى قرب حسابه تعالى»؛ فعلى هذا التأويل فحساب الله يقرب كل ليلة، ثم لا حساب! فلا نزول حتى على هذا التأويل. وهكذا يكون التعطيل للنصوص، وإنكار معانيها الحقيقية اللائقة به تعالى» اهـ.

فَضْلُ أَبِي بَكْر وَعُمَر رَضِيَ الله عَنْهُمَا

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٥- وَقُلْ إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَزِيرَاهُ قُدْمًا، ثُمَّ عُثْمَانُ أَرْجَحُ

يقرر الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة، وهي أنهم يعتقدون أنّ أفضل الناس بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هذا بإجماع الأمّة، ثم عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الصحيح الراجح، ثم علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما سيأتي.

وقوله: «وَزِيرَاهُ قُدْمًا»:

أي أنّ أبا بكر الصديق وعمر وزيرا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فهما الَّذَيْنِ أعاناه، وناصراه، وآزراه منذ القِدَم، أي: منذ بداية الدعوة، وخاصة أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ آزره وناصره وهاجر معه، فإنه لّما همَّ المشركون بقتله أو حبسه أو نفيه، خرج منهم مهاجرًا بصحبة صديقه وصاحبه أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فلجأ إلى غار ثور ثلاثة أيام ليرجع الطلب الذين خرجوا في آثارهم، ثم يسيران نحو المدينة، فجعل أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يجزع أن يطلع عليهم أحد فيخلص إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ منهم أذى، فجعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يسكنه ويثبته، ويقول: «**مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا**»؛ والحديث في «البخاري» (٣٦٥٣)، و«مسلم» (٢٣٨١).

وجاءت أدلة كثيرة تبين فضل أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وما له من الفضل والسبق مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، منها:

١) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي**»؛ أخرجه البخاري (٣٦٥٦).

٢) وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خَطَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «**إِنَّ الله خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ الله**»، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي مَا يُبْكِي هَذَا الشَّيْخَ؟ إِنْ يَكُنِ الله خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ الله، فَكَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هُوَ العَبْدَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا، قَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ لاَ تَبْكِ، إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلاَمِ وَمَوَدَّتُهُ، لاَ يَبْقَيَنَّ فِي المَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ، إِلَّا بَابُ أَبِي بَكْرٍ**»؛ أخرجه البخاري (٤٠٦٦) - واللفظ له -، ومسلم (٢٣٨٢).

٣) ومن فضائله ما أخرجه البخاري (٣٦٦١) عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ**» فَسَلَّمَ وَقَالَ: إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الخَطَّابِ شَيْءٌ، فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ نَدِمْتُ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَى عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ، فَقَالَ: «**يَغْفِرُ الله لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ**» ثَلاَثًا، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ، فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ، فَسَأَلَ: أَثَمَّ أَبُو بَكْرٍ؟ فَقَالُوا: لاَ، فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمَ، فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَتَمَعَّرُ، حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، وَالله أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ، مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الله بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي**» مَرَّتَيْنِ، فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا.

٤) فأفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد بوب الإمام البخاري في «صحيحه» فقال: «باب فضل أبي بكر بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ»، ثم قال (٣٦٥٥): حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ الله، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كُنَّا نُخَيِّرُ بَيْنَ النَّاسِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

فَنُخَيِّرُ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ».

٥) وقال الإمام البخاري (٣٦٧١): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا جَامِعُ بْنُ أَبِي رَاشِدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو يَعْلَى، عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ الحَنَفِيَّةِ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: «أَبُو بَكْرٍ»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ»، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: «مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ».

قال الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ونثبت الخلافة بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أولًا لأبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تفضيلًا له وتقديمًا على جميع الأمة» اهـ؛ «شرح العقيدة الطحاوية» (ص/ ٤٧١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويُقِرُّون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره، من أنّ خير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر، ثم عمر، ويُثَلِّثُون بعثمان، ويُرَبِّعُون بعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ كما دلت عليه الآثار، وكما أجمع الصحابة على تقديم عثمان في البيعة» اهـ؛ «شرح العقيدة الواسطية» للهراس (ص/ ٢٤٢).

وقال الإمام أبو محمد المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ في «لمعة الاعتقاد» (ص/ ١٣٨): «وأفضل أمّته أبو بكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين» اهـ.

فتبيّن بهذا أنّ أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفضل الناس بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، واسمه عبد الله بن عثمان بن عامر، وهو أول من آمن برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من الرجال، وصاحبه في الهجرة، ونائبه في الصلاة.

وبعده أبو حفص الفاروق عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أمير المؤمنين، وخليفةُ خليفةِ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

◈ **وقد جاءت أدلّة كثيرة في فضله** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **منها:**

١) ما أخرجه البخاري (٣٦٨٦)، ومسلم (٢٣٩٦) عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «إِيهًا يَا ابْنَ الخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا قَطُّ، إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ».

٢) وأخرج البخاري (٣٦٨٩)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ، فَإِنَّهُ عُمَرُ**».

٣) ما أخرجه البخاري (٣٦٧٩)، عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ، امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ، وَسَمِعْتُ خَشَفَةً، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا بِلاَلٌ، وَرَأَيْتُ قَصْرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: لِعُمَرَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ**» فَقَالَ عُمَرُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله أَعَلَيْكَ أَغَارُ!.

٤) ما أخرجه البخاري (٣٦٨٤)، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «مَازِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ».

وبعد عمر في الفضل أبو عبد الله ذو النورين عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذا هو الذي استقرّ عليه أمر أهل السنة كما تقدّم قول شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن أهل السنة يُثلِّثون بعثمان، ويُربِّعون بعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ».

قال الهراس رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح الواسطية» (ص/ ٢٤٤): «فمذهب جمهور أهل السنة أن ترتيب الخلفاء الراشدين في الفضل على حسب ترتيبهم في الخلافة، وهم لهذا يفضلون عثمان على علي، محتجين بتقديم الصحابة عثمان في البيعة على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا»

اهـ.

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح الواسطية» (٢/ ٢٦٩): «فأفضل هذه الأمة هؤلاء الأربعة: أبو بكر، ثم عمر، وهذا بالإجماع، ثم عثمان، ثم علي» اهـ.

فَضْلُ عُثمان بن عفَّان رضي الله عنه

وقد أشار الناظم إلى هذا، وهو أنّ أفضل الناس بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أبو بكر، ثم عمر بالإجماع، ثم عثمان على الراجح، فقال:

١٥- وَقُلْ إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَزِيرَاهُ قُدْمًا، ثُمَّ عُثْمَانُ أَرْجَحُ

◈ وعثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ له مناقب كثيرة، منها:

١) ما أخرج البخاري في «صحيحه» (٣٦٩٥)، فقال: بَابُ مَنَاقِبِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ أَبِي عَمْرٍو القُرَشِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ يَحْفِرْ بِئْرَ رُومَةَ فَلَهُ الجَنَّةُ**». فَحَفَرَهَا عُثْمَانُ، وَقَالَ: «**مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَلَهُ الجَنَّةُ**» فَجَهَّزَهُ عُثْمَانُ. حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ حَائِطًا وَأَمَرَنِي بِحِفْظِ بَابِ الحَائِطِ، فَجَاءَ رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ**»، فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ جَاءَ آخَرُ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ**»، فَإِذَا عُمَرُ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ يَسْتَأْذِنُ فَسَكَتَ هُنَيْهَةً ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى سَتُصِيبُهُ**»، فَإِذَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ.

٢) وأخرج البخاري (٣٦٩٧)، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لاَ نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا، ثُمَّ عُمَرَ، ثُمَّ عُثْمَانَ، ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، لاَ نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ»،

٣) وقال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ (٣٦٩٨): حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ هُوَ ابْنُ مَوْهَبٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ حَجَّ البَيْتَ، فَرَأَى قَوْمًا جُلُوسًا، فَقَالَ: مَنْ هَؤُلاَءِ القَوْمُ؟ فَقَالُوا هَؤُلاَءِ قُرَيْشٌ، قَالَ: فَمَنِ الشَّيْخُ فِيهِمْ؟ قَالُوا: عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ، إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ شَيْءٍ فَحَدِّثْنِي، هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ

عُثْمَانَ فَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَدْرٍ وَلَمْ يَشْهَدْ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ فَلَمْ يَشْهَدْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: الله أَكْبَرُ، قَالَ: ابْنُ عُمَرَ: تَعَالَ أُبَيِّنْ لَكَ، أَمَّا فِرَارُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَأَشْهَدُ أَنَّ الله عَفَا عَنْهُ وَغَفَرَ لَهُ، وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَدْرٍ فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا، وَسَهْمَهُ**» وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، فَلَوْ كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُثْمَانَ لَبَعَثَهُ مَكَانَهُ، فَبَعَثَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عُثْمَانَ وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ الْيُمْنَى: «**هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ**». فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ، فَقَالَ: «**هَذِهِ لِعُثْمَانَ**» فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ اذْهَبْ بِهَا الآنَ مَعَكَ.

٤) وأخرج ابن أبي عاصم في «السنة» (١٣٢٧) عَنْ عَبْدِ الله بْنِ حَوَالَةَ، قَالَ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ: «**تَهْجِمُونَ عَلَى رَجُلٍ مُعْتَجِرٍ يُبَايِعُ النَّاسَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»؛ فَهَجَمْنَا عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ وَهُوَ يُبَايِعُ النَّاسَ؛ والحديث صحيح.

فَضْلُ عَلِيّ بْن أَبِي طَالِب رضي الله عنه

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٦ - وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ عَلِيٌّ حَلِيفُ الخَيْرِ، بِالخَيْرِ مُنْجِحُ

يبيّن الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ أنّ رابع الصحابة في الفضل هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: «ورابعهم خير البريّة»، أي: إنه خير الناس بعد أبي بكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وقوله: «البَرِيّة»:

هم الخلق، مأخوذ من برَأ الله الخلق يبرؤهم، أي: خلقهم؛ «القاموس المحيط» (١/ ٨).

وهذا هو معتقد أهل السنة: أنّ أفضل الصحابة بعد أبي بكر وعمر وعثمان، هو علي بن أبي طالب، فهو رابعهم في الفضل، ورابعهم في الخلافة، وقد تقدّم شيء من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك، ونذكره هنا كاملًا.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ وهو يُبيِّن معتقد أهل السنة: «ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر، ثم عمر. ويثلثون بعثمان، ويربعون بعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ كما دلت عليه الآثار، وكما أجمع الصحابة على تقديم عثمان في البيعة. مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر، أيهما أفضل؟ فقدّم قوم عثمان وسكتوا، أو رَبَّعوا بعلي، وقدَّم قوم عليا، وقوم توقفوا. لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان، ثم علي. وإن كانت هذه المسألة - مسألة عثمان وعلي - ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة. لكن التي يضلل فيها: مسألة الخلافة، وذلك أنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: أبو بكر، وعمر، ثم

عثمان، ثم علي. ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله» اهـ؛ «شرح العقيدة الواسطية» للهراس (ص/ ٢٤٢-٢٤٣).

◈ وقد جاءت أدلّة كثيرة في مناقب علي بن أبي طالب، منها:

١) ما جاء عن سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ، أَوْ لَيَأْخُذَنَّ الرَّايَةَ، غَدًا رَجُلًا يُحِبُّهُ الله وَرَسُولُهُ**»، أَوْ قَالَ: «**يُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ الله عَلَيْهِ**» فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّ وَمَا نَرْجُوهُ، فَقَالُوا: هَذَا عَلِيٌّ فَأَعْطَاهُ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الرَّايَةَ فَفَتَحَ الله عَلَيْهِ؛ أخرجه البخاري (٣٧٠٢)، ومسلم (٢٤٠٧).

٢) وعن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لعليّ: «**أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟ غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»؛ أخرجه البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤).

٣) وعَنْ حُبْشِيِّ بْنِ جُنَادَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**عَلِيٌّ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، وَلَا يُؤَدِّي عَنِّي إِلَّا أَنَا أَوْ عَلِيٌّ**»، وفي رواية: «**لَا يَقْضِي عَنِّي دَيْنِي إِلَّا أَنَا أَوْ عَلِيٌّ**»؛ أخرجه أحمد (١٧٥٠٥)، وهو صحيح.

٤) وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ**»؛ أخرجه الترمذي (٣٧٢٢) عن أبي سريحة حذيفة بن أسيد وزيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وجاء عن جماعة من الصحابة، وهو صحيح.

٥) وجاء عند الإمام مسلم (٧٨) عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِلَيَّ: «**أَنْ لَا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ**».

هذا ليعلم أنّ معتقد أهل السنة في ترتيب الخلفاء الأربعة في الفضل كترتيبهم في

الخلافة، كما قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٧/ ٣٤) تحت حديث (٣٦٧١): «وأنّ الإجماع قد انعقد آخره بين أهل السنة أنّ ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ»؛ اهـ.

قال الطحاوي رحمه الله: «ونثبت الخلافة بعد رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ أولًا لأبي بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، تفضيلًا له وتقديمًا على جميع الأمة، ونثبت الخلافة بعد أبي بكر لعمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ثم لعثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ثم لعلي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون»؛ اهـ، «شرح الطحاوية» (ص/ ٤٧١).

وقال الإمام أبو محمد المقدسي رحمه الله في «لمعة الاعتقاد» بعد أن ذكر أفضلية أبي بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «وهو أحق خلق الله بالخلافة بعد النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ لفضله وسابقته، وتقديم النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ له في الصلاة على جميع الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وإجماع الصحابة على تقديمه ومبايعته، ولم يكن الله ليجمعهم على ضلالة ثم من بعده عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لفضله، وعهد أبي بكر إليه، ثم عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، لتقديم أهل الشورى له، ثم علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، لفضله وإجماع أهل عصره عليه. هؤلاء الخلفاء الراشدون المهديون الذين قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ فيهم: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها**»، [الحديث صحيح، أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) عن العرباض بن سارية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ]»؛ اهـ.

وقوله: «بالخير مُنجح»:

هو من النجاح، وهو نيل المقصود والظفر به، وفي نسخة: «بالخير يُمنَحُ»، وفي نسخة: «بالخير مُمنح»، أي: يعطي الناس الخير ويمنحهم.

وأهل الشورى الذين أشار إليهم المقدسي رَحِمَهُٱللَّهُ هم علي، وعثمان، وسعد، وطلحة،

والزبير، وقد جمعهم الشاعر بقوله:

عَـلِيٌّ وَعُـثْمَان وَسَـعْد وَطَلْحَـة زُبَـيْر وَذُو عَـوْف رِجَـال المَشُـورَة

هم الذين قدموا عثمان على علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أجمعين، «فيجب الاعتقاد بأن خلافة عثمان كانت صحيحة؛ لأنها كانت بمشورة الستة الذين عيّنهم عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ليختاروا الخليفة من بعده، فمن زعم أنّ خلافة عثمان كانت باطلة، وأنّ عليّا كان أحقّ بالخلافة منه، فهو مبتدع ضال يغلب عليه التشيع، مع ما في قوله من إزراء بالمهاجرين والأنصار»؛ «شرح العقيدة الواسطية» للهراس (ص/ ٢٤٤).

فَضْلُ الْخُلَفَاءِ الأَرْبَعَةِ الرَّاشِدِينَ

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٧ - وَإِنَّهُمُ وَالرَّهْطُ لَا رَيْبَ فِيهِمُ عَلَى نُجُبِ الْفِرْدَوْسِ فِي الْخُلْدِ تَسْرَحُ

أي: إنّ هؤلاء الخلفاء الأربعة الذين سبق ذكرهم، والذين سيذكرهم في البيت التالي، هم الرهط المبشرون بالجنة، لا ريب في ذلك ولا شكّ أنهم سينالون الفضل من الله، وأنّ منزلتهم الجنة، «والرهط هم من ثلاثة أو سبعة إلى عشرة، أو ما دون العشرة، وما فيهم امرأةٌ، ولا واحِدَ له من لَفْظِه»؛ «القاموس المحيط» (٢/ ٣٦١).

وقوله: «على نُجُب الفِردَوس»:

«النُجُب جمع نجيب، وهو الكريم الحسيب، أي: الفاضل على مثله، النفيس في نوعه، ونجائب الإبل خيارها»؛ «القاموس المحيط» (١/ ١٣٠)، و«المعجم الوسيط» (ص/ ٩١٠).

والمراد: أنهم يسرحون في الجنة على النوق الكريمة، والخيل الكريمة، وقد جاء في «صحيح مسلم» (١٨٩٢)، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ بِنَاقَةٍ مَخْطُومَةٍ، فَقَالَ: هَذِهِ فِي سَبِيلِ الله، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُ مِائَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ**».

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرحه على مسلم» (١٣/ ٣٨) عند شرح هذا الحديث: «قيل: يحتمل أن المراد له أجر سبعمائة ناقة، ويحتمل أن يكون على ظاهره، ويكون له في الجنة بها سبعمائة، كل واحدة منهن مخطومة يركبهن حيث شاء للتنزه، كما جاء في خيل الجنة ونجبها وهذا الاحتمال أظهر والله أعلم» اهـ.

قلت: والنووي رَحِمَهُ اللَّهُ يشير كما أشار الناظم إلى أنّ في الجنة خيلا كما جاء عند الترمذي رقم (٥٢٤٣)، وعند أحمد (٥/ ٣٥٢) عَنِ بُرَيْدَةَ بن الحصيب قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ

إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي أُحِبُّ الْخَيْلَ، فَفِي الْجَنَّةِ خَيْلٌ؟ قَالَ: «**إِنْ يُدْخِلْكَ الله الْجَنَّةَ فَلَا تَشَاءُ أَنْ تَرْكَبَ فَرَسًا مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ تَطِيرُ بِكَ فِي أَيِّ الْجَنَّةِ شِئْتَ إِلَّا رَكِبْتَ**». وَأَتَاهُ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَفِي الْجَنَّةِ إِبِلٌ؟ قَالَ: «**يَا عَبْدَ الله إِنْ يُدْخِلْكَ الله الْجَنَّةَ كَانَ لَكَ فِيهَا مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ**».

وفي سنده: عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي، وهو مختلط، لكن الحديث جاء مرسلًا صحيحًا ساقه الترمذي بسنده عقب الحديث، عن عبد الرحمن بن سابط، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نحوه بمعناه، ثم قال: وهذا أصح من حديث المسعودي.

وله شواهد يشدّ بعضها بعضًا مع المرسل الصحيح، فيرتقي إلى الحسن والله أعلم، وانظر طرقه في «السلسلة الصحيحة» للألباني رَحِمَهُ اللَّهُ رقم (٣٠٠١).

قوله: «الفِردَوس»:

يشير رَحِمَهُ اللَّهُ إلى ما أخرجه البخاري (٧٤٢٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا الله لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ الله، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ الله، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ - أُرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ**».

قوله: «بالنور تسرح»:

أي: يمن عليها من أهل النور والوضاءة والبهاء والحُسن، و«تسرح» أي: تذهب حيث شاء راكبها، وفي بعض النسخ: «في الخلد تسرح»، والخلد هي الجنة، لأنّها دار النعيم المقيم، الذي لا يحول ولا يزول؛ اهـ من «التحفة السنية شرح الحائية» للبدر (ص/ ٦٠ - ٦١).

فَضْلُ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّة

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٨ - سَعِيدٌ وَسَعْدٌ وَابْنُ عَوْفٍ وَطَلْحَةٌ وَعَامِرُ فِهْرٍ وَالزُّبَيْرُ الْمُمَدِّحُ

بعد أن أشار الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ إلى الرهط المبشرين بالجنة صرّح بأسمائهم بعد أن ذكر الخلفاء الأربعة، أبا بكر وعمر وعثمان وعليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ثم ذكر هؤلاء الستة المذكورين في هذا البيت.

والدليل على بشارتهم بالجنة ما جاء في حديث سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «**أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فِي الْجَنَّةِ، وَتَاسِعُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ**» لَوْ شِئْتُ أَنْ أُسَمِّيَهُ لَسَمَّيْتُهُ، قَالَ: فَضَجَّ أَهْلُ الْمَسْجِدِ يُنَاشِدُونَهُ يَا صَاحِبَ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مَنِ التَّاسِعُ؟ قَالَ: نَاشَدْتُمُونِي بِالله، وَالله عَظِيمٍ أَنَا تَاسِعُ الْمُؤْمِنِينَ وَرَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، الْعَاشِرُ.

وفي بعض طرقه «**أبو عبيدة بن الجراح في الجنّة**»، وليس فيه: «رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في الجنة».

والحديث صحيح أخرجه أبو داود (٤٦٤٩)، والترمذي (٣٧٥٧)، وابن ماجه (١٣٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٤٦٥)، وغيرهم، وله طرق كثيرة يرتقي ببعضها إلى الصحيح لغيره، وذكره الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الجامع» رقم (٥٠)، وجاء عن عبد الرحمن بن عوف عند الترمذي (٣٧٥٦).

وأما بشارة الخلفاء فقد جاءت في حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطويل عند

البخاري (٣٦٧٤)، ومسلم (٢٤٠٣)، وقد ذكره البخاري مختصرًا برقم (٧٢٦٢): أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ حَائِطًا وَأَمَرَنِي بِحِفْظِ بَابِ الحَائِطِ، فَجَاءَ رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»، فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ جَاءَ آخَرُ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»، فَإِذَا عُمَرُ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ يَسْتَأْذِنُ فَسَكَتَ هُنَيْهَةً ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى سَتُصِيبُهُ**»، فَإِذَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ.

قوله: «سعيد»:

هو ابن عمرو بن نفيل العدوي، أبو الأعور، كان من السابقين إلى الإسلام، توفي بالعقيق سنة خمسين أو بعدها بسنة أو بسنتين، عن بضعٍ وسبعين سنة، روى له الجماعة؛ «السير» (١/ ١٢٤).

قوله: «وسعد»:

هو ابن أبي وقاص مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهري أبو إسحاق، أحد العشرة، وأول من رمى بسهم في سبيل الله، ومناقبه كثيرة، مات بالعقيق سنة خمس وخمسين على المشهور عن اثنين وثمانين سنة، ودفن بالمدينة، وهو آخر العشرة وفاةً، روى الله الجماعة؛ «السير» (١/ ٩٢).

وقوله: «وابن عوف»:

هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة القرشي الزهري، أسلم قديمًا، ومناقبه شهيرة، ومات سنة اثنين وثلاثين، وقيل غير ذلك، وعاش خمسًا وسبعين سنة، وقيل: اثنتان وسبعون سنة. ودفن في المدينة، روى له الجماعة؛ «السير» (١/ ٦٨).

قوله: «وطلحة»:

هو ابن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة التيمي، أبو محمد المدني من السابقين إلى الإسلام، مشهور استشهد يوم الجمل سنة ست وثلاثين، وهو ابن ثلاثة وستين، روى له الجماعة؛ «السير» (١/ ٢٣).

قوله: «وعامر فهر»:

هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن وهيب بن ضبّة بن الحارث بن فهر القرشي الفهري، أبو عبيدة بن الجراح أحد العشرة، أسلم قديمًا، وشهد بدرًا، ومات شهيدًا بطاعون عمواس سنة ثماني عشرة وله ثمان وخمسون سنة، روى له الجماعة؛ «السير» (١/ ٢٣).

قوله: «والزبير»:

هو ابن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب أبو عبد الله القرشي الأسدي، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، قتل سنة ست وثلاثين بعد منصرفه من وقعة الجمل، روى له الجماعة؛ «السير» (١/ ٢٣).

قوله: «المُمدح»:

أي: صاحب المدائح الكثيرة، ولهؤلاء العشرة المدائح الكثيرة والفضائل الكبيرة، وأعظم مدح لهم أنه بُشروا بالجنة. وقد جمعهم الشاعر في قوله:

لِلْمُصْطَفَى خَيْرِ صَحْبٍ نَـصَّ أَنَّهُـمُ ... فِي جَنَّةِ الْـخُلْدِ نَصًّا زَادَهُـمْ شَرَفًـا
هُمْ طَلْحَةُ وَابْنُ عَـوْفٍ وَالـزُّبَيْرُ مَـعَ ... أَبِي عُبَيْدَةَ وَالسَّـعْدَيْنِ وَالْـخُلَفَاءَ

والسعدان: هما سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قال الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ كما في «شرح الطحاوية» (ص/ ٤٨٥ - ٤٨٦): «وَأَنَّ الْعَشَرَةَ

الَّذِينَ سَمَّاهُمْ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَبَشَّرَهُمْ بِالْجَنَّةِ، نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، عَلَى مَا شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ، وَهُمْ. أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدٌ، وَسَعِيدٌ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَهُوَ أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ»؛ اهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «الواسطية»: «ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، كالعشرة، وثابت بن قيس بن شماس، وغيرهم من الصحابة»؛ اهـ، «شرح الواسطية» للهراس (ص/ ٢٤١).

وقال الإمام أبو محمد المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ونشهد للعشرة بالجنة كما شهد لهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وكلّ من شهد له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالجنة شهدنا له بها، كقوله: «والحسن والحسين سيدا شباب الجنة»، وقوله لثابت بن قيس: «إنه من أهل الجنة»»؛ اهـ، «شرح لمعة الاعتقاد» (ص/ ١٤٤) بتحقيق الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ.

فهذا هو معتقد أهل السنة: أنّنا نشهد للعشرة المبشرين بالجنة، وغيرهم ممن شهد لهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالجنة غير العشرة، وإنما جمع هؤلاء العشرة، لأنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ جمعهم في حديث واحد.

○ فممن شهد لهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالجنة ثابت بن قيس كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية، ودليل ذلك ما أخرجه البخاري (٣٦١٣)، ومسلم (١١٩)، واللفظ له، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ، وَقَالَ: أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَاحْتَبَسَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا عَمْرٍو، مَا شَأْنُ ثَابِتٍ؟ اشْتَكَى؟**» قَالَ

سَعْدٌ: إِنَّهُ لَجَارِي، وَمَا عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَى، قَالَ: فَأَتَاهُ سَعْدٌ، فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ ثَابِتٌ: أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا عَلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**».

○ ومِمَّن بُشِّر بالجنّة الحسن والحسين أبناء علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأمهما فاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فقد أخرج الإمام أحمد (٣/ ٣) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»؛ وأخرجه النسائي في «الخصائص» (ص/ ١٥٠)، وهو صحيح.

○ ومِمَّن بُشِّر بالجنّة عكاشة بن محصن وعبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أما عكاشة فدليل ذلك ما أخرجه البخاري (٦٥٤١)، ومسلم (٢٢٠)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ذكر أنّ سبعين ألفًا من أمّته يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وذكر أنهم لا يسترقون ولا يتطيرون، وعلى ربّهم يتوكلون، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بن محصن، فَقَالَ: ادْعُ الله أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «**أَنْتَ مِنْهُمْ**»، ثمّ قَامَ آخَر، فَقَالَ: ادْعُ الله أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فقَالَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**».

○ وفي شأن عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما أخرجه البخاري (٣٨١٢)، ومسلم (٢٤٨٣)، عن سعد بن أبي وقاص قال: مَا سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِحَيٍّ يَمْشِي، إِنَّهُ فِي الْجَنَّةِ إِلَّا لِعَبْدِ الله بْنِ سَلَامٍ.

وعن معاذ بن جبل قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّهُ عَاشِرُ عَشَرَةٍ فِي الْجَنَّةِ**»؛ أخرجه الترمذي (١٠/ ٣٠٦)، وأحمد (٥/ ٢٤٢) وحسَّنه شيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيح المسند».

وهناك آخرون من الصحابة شهد لهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالجنة، كخديجة بنت خويلد زوج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وفاطمة بنت محمد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وبلال بن رباح مؤذن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وقد جاءت في ذلك الأدلّة، والله الموفق.

الصَّحَابَةُ لا يُذْكَرُونَ إِلا بِالْجَمِيلِ

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٩- وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ وَلَا تَكُ طَعَّانًا تَعِيبُ وَتَجْرَحُ

أي: قُل القولَ الحسن في جميع الصحابة، ولا تقتصر على بعض، هذا هو الذي ينبغي: أن تُحبّهم جميعًا، وأن تثني عليهم جميعًا، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «لاميته»:

حُبُّ الصَّحَابَةِ كُلّهِمْ لِي مَذْهَب وَمَوَدَّةُ الْقُرْبَى بِهَا أَتَوَسَّلُ

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في «الواسطية»: «ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، كما وصفهم الله به في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، وطاعة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في قوله: «**لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ**»؛ اهـ، «شرح الواسطية» للهراس (ص/ ٢٣٦) بتحقيق السقاف.

وقال الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَلَا نُفَرِّطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ، وَبِغَيْرِ الْخَيْرِ يَذْكُرُهُمْ، وَلَا نَذْكُرُهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ. وَحُبُّهُمْ دِينٌ وَإِيمَانٌ وَإِحْسَانٌ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وَطُغْيَانٌ» اهـ، «شرح الطحاوية» (ص/ ٤٦٧).

وقوله: «الصحابة»:

الصحابي هو: من لقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مؤمنًا به، ومات على الإسلام، ولو تخللت ردّةٌ في الأصح.

والتعبير بـ«لَقِيَ» في تعريف الصحابي أولى من قول بعضهم: من رأى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أنه يخرج حينئذ ابن أم مكتوم وهو مؤذن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ونحوه من العميان، وهم صحابة بلا شكّ.

وقولنا: «مؤمنًا» في تعريف الصحابي يخرج من حصل له اللقاء المذكور لكن في حال كونه كافرًا.

وقولنا: «ومات على الإسلام» يخرج من ارتدّ بعد أن لقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كعبيد الله بن جحش[1]، وعبد الله بن خطل الذي قُتل وهو متعلق بأستار الكعبة.

وقولنا: «ولو تخللت ردّة»، أي: بين لقِيِّهِ له مؤمنا به، وبين موته على الإسلام؛ فإنّ اسم الصحبة باق له، سواء رجع إلى الإسلام في حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أم بعده.

وقولنا: «في الأصح»، إشارة إلى الخلاف في المسألة، ويدل على رجحان الأول قصة الأشعث بن قيس؛ فإنّه كان ممن ارتدوا وأُتي به إلى أبي بكر الصدّيق أسيرًا، فعاد إلى الإسلام فقبل منه ذلك وزوجه أخته، ولم يتخلف أحدٌ عن ذكره في الصحابة، ولا عن تخريج أحاديثه، فحديثه في الصحاح والمسانيد وغيرهما.

فهذا هو أصح التعاريف في تعريف الصحابي، كما قال ابن حجر في «الإصابة» (١/١٥٨): «وأصح ما وقفت عليه من ذلك أنّ الصحابي: من لقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مؤمنا به، ومات على الإسلام، فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى» اهـ.

---

(١) لم يصح شيء من ذلك وأنّه ارتدّ، في سنده الواقدي وهو كذّاب، وقد أخرج القصة ابن سعد في «الطبقات».

ثم تكلم كلامًا طيبًا حول تعريف الصحابي فليرجع إليه.

وقوله: «كلهم»:

أي: أذكر جميع الصحابة بالخير، ولا تخص أحدا دون أحد، وفي هذا رد على الروافض الذين غلوا في آل بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وطعنوا في أصحابه، وعلى النواصب الذين نصبوا العداء لأهل البيت، فكما أن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صحابي فكذا معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صحابي مع أنه لا شك ولا ريب أن عليًّا أفضل من معاوية، لكن لا يجوز سبّ الصحابة أو بغضهم ألبتة، أو بغض بعضهم، كما سبق، والله المستعان.

وقوله: «ولا تك طعانًا»:

أي: لا تكن طعانًا، وهنا حذفت الواو والنون من (تكون) لجواز ذلك في اللغة، **وقد اشترط النحاة لجواز حذف آخرها خمسة شروط:**

١) أن تكون بلفظ المضارع. ٢) أن تكون مجزومة.

٣) أن لا تكون موقوفا عليها. ٤) ولا متصلة بضمير نصب.

٥) ولا بساكن.

وذلك كقوله تعالى في شأن مريم: ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٠]؛ «شرح قطر الندى وبلّ الصدى» لابن هشام (ص/ ١٩٢).

وقوله: «طعانًا»:

أي: وقَّاعًا في أعراض الناس بالذم والغيبة ونحوهما، وهو (فعال) من: طعن فيه وعليه بالقول، يطعن - بالفتح والضم - إذا عابه، ومنه الطعن في النسب؛ من «النهاية» لابن الأثير (ص/ ٤٨٩).

والمراد هنا: النهي عن الطعن في الصحابة، وليس المراد النهي عن المبالغة في الطعن؛ فإنه معلوم أن نفي المبالغة لا يستلزم نفي الفعل من أصله، وإنما المراد بنفي المبالغة في الطعن هنا نفي الطعن من أصله، ومنه قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلاَ اللَّعَّانِ وَلاَ الفَاحِشِ وَلاَ البَذِيءِ**»؛ أخرجه أحمد (١/ ٤١٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١/ ٤١٠) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو صحيح.

ومعنى الحديث: أن المؤمن ليس بذي طعن، وليس بذي لعن، فإذا كان هذا مع عموم المسلمين كذلك، فإنه مع الصحابة من باب أولى، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى زكّاهم، ومثل هذا قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، فإنّ المراد بنفي المبالغة في الآية المذكورة هو نفي الظلم من أصله، كما بينته آيات كثيرة؛ وللاستزادة انظر: «أضواء البيان» للشنقيطي عند الآية المذكورة.

والناظم رَحِمَهُ اللَّهُ يشير إلى تحريم الطعن في الصحابة، والنهي عن تجريحهم، وهو سبّهم وشتمهم، وعن القدح فيهم، وقد جاءت الأدلّة في النهي عن ذلك، منها:

○ ما أخرجه البخاري (٣٦٧٣) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ**».

○ وأخرجه مسلم (٢٥٤١)، ولفظه: قال: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: كَانَ بَيْنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ شَيْءٌ، فَسَبَّهُ خَالِدٌ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ**».

○ وأخرج مسلم (٢٥٤٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ».

وهذا الحديث، وحديث أبي سعيد الذي قبله بوّب لهما الإمام النووي: «باب تحريم سبّ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ».

○ وقال الإمام مسلم (٣٠٢٢): حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَتْ لِي عَائِشَةُ: يَا ابْنَ أُخْتِي «أُمِرُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَسَبُّوهُمْ».

○ وأخرج ابن ماجه (١/ ٥٧) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه كان يقول: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَلَمُقَامُ أَحَدِهِمْ سَاعَةً، خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمُرَهُ»؛ وهو صحيح.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ في «فضائل الصحابة»: حدثنا وَكِيعٌ، حدثنا جَعْفَرٌ - يَعْنِي: ابْنَ بُرْقَانَ -، عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ: ثَلَاثٌ ارْفُضُوهُنَّ: سَبُّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَالنَّظَرُ فِي النُّجُومِ، وَالنَّظَرُ فِي الْقَدَرِ؛ والأثر برقم (١٩)، وهو صحيح.

فَضْلُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ الله عنهم

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٠- فَقَدْ نَطَقَ الْـوَحْيُ الْـمُبِينُ بِفَضْـلِهِمْ وَفِي الْفَـتْحِ آيٌ فِي الصَّـحَابَةِ تَـمْدَحُ

يشير الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ إلى ما جاء في القرآن الكريم من فضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فمن ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠]. وقال الله تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٧].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۖ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٧٤].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [الحديد: ١٠]؛ فقوله سبحانه: ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ يشمل جميع صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ و رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

وقال الله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وقال سبحانه: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن

قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر: ٨ - ٩].

وقال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قال شيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هاتان الآيتان وإن كانتا تشملان الأمة كلّهم؛ فإنّ الصحابة داخلون في هذا دخولًا أوليًّا، لأنهم المخاطبون بهذا»؛ «صعقة الزلزال لنسف أباطيل الرفض والاعتزال» (١/ ٥).

قال الإمام أبو بكر بن أبي شيبة (١٢/ ١٥٥): حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] قَالَ: الَّذِينَ هَاجَرُوا مَعَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ»؛ وسنده حسن.

وقوله: «وَفِي الْفَتْحِ آيٌ فِي الصَّحَابَةِ تَمْدَحُ»:

يشير الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ إلى ما جاء في «سورة الفتح» من الآيات في فضائل الصحابة، وأنها عديدة، ومنها قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

وقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

الإيمَانُ بِالْقَدَر

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢١- وَبِالْقَدَرِ الْمَقْدُورِ أَيْقِنْ فَإِنَّهُ دِعَامَةُ عقْدِ الدِّينِ وَالدِّينُ أَفْيَحُ

يبين الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ أن الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، ودعامة من دعائم الدين، كما جاء في حديث جبريل الطويل، حين سأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عن الإيمان؟ فقال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»؛ أخرجه مسلم (٨).

فلا يقبل من عبدٍ إسلام حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [الأحزاب: ٣٨].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢].

وقال تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الحجر: ٢١].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [المرسلات: ٢٠ - ٢٣].

والقدر هو تقدير الله عَزَّوَجَلَّ الأشياء، وله أربع مراتب:

١) العلم، ٢) الخلق، ٣) الكتابة، ٤) والمشيئة.

جمعها الشاعر في قوله:

عِلْمٌ كِتَابَةُ مَوْلَانَا مَشِيئَتُهُ وَخَلْقُهُ وَهوَ إِيجَادٌ وَتَكْوِينُ

ولكلّ مرتبة أدلّة كثيرة من الكتاب والسنة، فالإيمان بالقدر خيره وشره من عقيدة أهل السنة والجماعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «الواسطية»: «وتؤمن الفرقة الناجية من أهل السنة والجماعة بالقدر خيره وشره» اهـ.

○ **فالمرتبة الأولى**: العلم.

وهو الإيمان بعلم الله المحيط بكل شيء من الموجودات والمعدومات، هذا العلم الذي هو صفة من صفاته تعالى الذاتية التي لا يزال متّصِفًا بها أزلًا وأبدًا، ومن ذلك علمه بأعمال الخلق من الطاعات والمعاصي، وعلمه بأحوالهم من الأرزاق والآجال وغيرها؛ «شرح الواسطية» للفوزان (ص/ ١٦٥).

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

وقال تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٣].

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

○ **والمرتبة الثانية**: هي الكتابة.

وهي أنّ الله كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلق، فما يحدث شيء في الكون إلا وقد علمه وكتبه قبل حدوثه؛ «شرح الواسطية» للفوزان (ص/ ١٦٥).

قال الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في شأن موسى مع فرعون: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ [طه: ٥١ - ٥٢].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**»، قَالَ: «**وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**»؛ أخرجه مسلم (٢٦٥٣).

وفي حديث عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً**»؛ أخرجه البخاري (١٣٦٢)، ومسلم (٢٦٤٧).

ويدخل في هذه المرتبة أربعة من التقادير كلها ترجع إلى العلم:

- **الأول**: التقدير الأزلي، ودليله ما تقدم.

- **الثاني**: التقدير العمري، ودليله قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، ومن التقدير

العمري ما جاء في حديث ابن مسعود قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ، قَالَ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ الله مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ**»؛ أخرجه البخاري (٦٥٩٤)، ومسلم (٢٦٤٣).

- **الثالث**: التقدير الحولي، دليله قوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥﴾ [الدخان: ٤ - ٥].

- **الرابع**: التقدير اليومي، دليله قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]؛ انظر: «أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة» للحافظ الحكمي (ص/ ١٥٢ - ١٥٣).

○ **المرتبة الثالثة**: المشيئة.

وهي مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، أي أن نؤمن ونعتقد أنّ ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السموات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ انظر: «العقيدة الواسطية».

قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣ - ٢٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ

صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ**»؛ أخرجه مسلم (٢٦٥٤).

وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ أَوْ طُلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ قَالَ: «**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي الله عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ**»؛ أخرجه البخاري (١٤٣٢)، ومسلم (٢٦٢٧).

وعن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ الله وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ الله ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ**»؛ أخرجه أبو داود (٤٩٨٠)، وأحمد (٢٣١٥٨).

وعن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ يُرِدِ الله بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»؛ أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).

فهذه الأدلّة تدلّ على إثبات المشيئة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ونبيّن هنا أنّ الإرادة تنقسم إلى قسمين:

«١) إرادة كونية. ٢) إرادة شرعية.

- فالإرادة الكونية بمعنى المشيئة، ومثالها: قول نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ﴾ [هود: ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص: ٥٦].

- والإرادة الشرعية بمعنى المحبة، ومثالها قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ

عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧].

وتختلف الإرادتان في موجبهما وفي متعلقهما:

- ففي المتعلق: الإرادة الكونية تتعلق فيما وقع، سواء أحبه الله سبحانه أم كرهه، والإرادة الشرعية تتعلق فيما أحبه، سواء وقع أم لم يقع.

- وفي موجبهما: الإرادة الكونية يتعين فيها وقوع المراد، والإرادة الشرعية لا يتعين فيها وقوع المراد»؛ اهـ، «شرح الواسطية» للشيخ ابن عثيمين (٢/ ٢٠٦).

○ **المرتبة الرابعة:** هي من مراتب الإيمان بالقدر، وهي مرتبة الخلق.

أن نؤمن أن الله خالق الأشياء، وموجد لها، ودليلها قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣].

وقال سبحانه: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمان: ١١].

وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾ [الروم: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

الإيمَانُ بِالْيَوْمِ الآخِر

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٢- وَلَا تُنْكِـرَنْ جَهْـلًا نَكِـيرًا وَمُنْكَـرًا وَلَا الْـحَوْضَ وَالْـمِيزَانَ إِنَّـكَ تُنْصَـحُ

يبين الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ أنّ من أركان الإيمان، الإيمان باليوم الآخر، ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بما يكون بعد الموت من فتنة القبر عندما يأتي الملكان فيسألان العبد، كما جاء في حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولاَنِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟ فَأَمَّا المُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ الله بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا**». - قَالَ قَتَادَةُ: وَذُكِرَ لَنَا: أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ - قَالَ: «**وَأَمَّا المُنَافِقُ وَالكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ**»؛ أخرجه البخاري (١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠).

وفي حديث البراء المشهور الطويل، وفيه: «**وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ الله، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟**» قَالَ: «**فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولاَنِ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ الله فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ**»؛ هذا في حقّ المؤمن.

أمّا في حقّ الكافر، فقال: «**وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولاَنِ: لَهُ مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولاَنِ: مَا هَذَا**

الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي...»؛ أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/ ٣٨٠)، وأبو داود (٤٧٥٣)، وهو في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» لشيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقوله: «نكيرا ومنكرا»:

قد جاء ذكر منكر ونكير في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ، أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلآخَرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولاَنِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولاَنِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ، نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ، فَيَقُولاَنِ: نَمْ كَنَوْمَةِ العَرُوسِ الَّذِي لاَ يُوقِظُهُ إِلاَّ أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ الله مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ، فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لاَ أَدْرِي، فَيَقُولاَنِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلأَرْضِ: التَئِمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلاَعُهُ، فَلاَ يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ الله مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ»؛ أخرجه الترمذي (١٠٧١)، وابن حبان (٣١١٧)، وهو حديث حسن.

◈ وأما الحوض ففيه أحاديث متواترة، منها:

١) ما ثبت عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلاَ يَظْمَأُ أَبَدًا»؛ أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢).

٢) ومنها قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى صَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ، وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الْأَبَارِيقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ»؛ أخرجه البخاري (٦٥٨٠)، ومسلم

(٢٣٠٣).

٣) وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الحَوْضَ، حَتَّى عَرَفْتُهُمْ اخْتُلِجُوا دُونِي، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي، فَيَقُولُ: لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**»؛ أخرجه البخاري (٦٥٨٢)، ومسلم (٢٣٠٤).

وقال الشاعر:

مِمَّا تَوَاتَرَ حَدِيثُ مَنْ كَذَبْ ... وَمَنْ بَنَى للهِ بَيْتًا وَاحْتَسَبْ
وَرُؤْيَةٌ شَفَاعَةٌ وَالْحَوْضُ ... وَمَسْحُ خُفَّيْنِ وَهَذِي بَعْضُ

فأدلّة الحوض متواترة.

وأمّا الميزان فقد جاءت أدلّة تدلّ عليه من الكتاب والسنة.

فمن الكتاب:

○ قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

○ وقوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف: ٨-٩].

○ وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٣].

ومن السنة:

١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**كَلِمَتَانِ**

خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ الله العَظِيمِ، سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ»؛ أخرجه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤).

٢) وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في ساقي عبد الله بن مسعود: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ»؛ أخرجه أحمد (٣٩٩١)، وذكره شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين».

٣) وعن الحارث الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لله تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ الله وَالْحَمْدُ لله تَمْلَآنِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا»؛ أخرجه مسلم (٢٢٣).

٤) وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «وَبِيَدِهِ الأُخْرَى المِيزَانُ، يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ»؛ أخرجه البخاري (٧٤١١) وهذا لفظه، ومسلم (٩٩٣).

٥) وعن النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «وَالْمِيزَانُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ عَزَّوَجَلَّ يَخْفِضُهُ وَيَرْفَعُهُ»؛ أخرجه أحمد (١٧٦٣٠)، وذكره شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين».

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، الأكثر على أنّه إنما هو ميزان واحد، وإنما جمع باعتبار تعدّد الأعمال الموزونة فيه؛ اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٥٣٨) بعد أن ذكر الخلاف: «والذي يترجح أنه ميزان واحد، ولا يشكل بكثرة من يوزن عمله، لأن أحوال القيامة لا تكيف بأحوال الدنيا»؛ انتهى المراد.

واختلف في الموزون هل هو العمل أم صاحبه، أم محلّه، وهي الصحائف؛ وقد وردت الأدلّة بهذه الأمور كلها، وأكثرها في وزن العمل.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير «سورة الأعراف» [آية: ٨ - ٩] بعد أن ذكر هذه الأمور الثلاثة وبعض أدلتها: «وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار، بأن يكون ذلك كله صحيحا، فتارة توزن الأعمال، وتارة توزن محالها وتارة يوزن فاعلها، والله أعلم» اهـ.

وقال ابن أبي العز رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح الطحاوية» (ص/ ٤١٩) بعد أن ذكر الأنواع الثلاثة وبعض أدلتها: «فثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال»؛ اهـ.

وقال ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «الجمع بين النصوص الواردة في وزن الأعمال والعاملين والصحائف: أنه لا منافاة بينها، فالجميع يوزن، ولكن الاعتبار في الثقل والخفة يكون بالعمل نفسه، لا بذات العامل ولا بالصحيفة» اهـ؛ من تعليق له يسير على متن «العقيدة الطحاوية».

◈ وهنا مسألة: هل للميزان لسان وكفتان؟

أما اللّسان، فلم يرد حديث مرفوع إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، إنما ورد عن الحسن البصري من طريق عبد الملك بن أبي سليمان قال: ذكر الميزان عند الحسن، فقال: «له لسان وكفّتان»؛ وهذا الأثر حسن، أخرجه ابن المنذر من طريق عبد الملك بن أبي سليمان به؛ وجاء عن ابن عباس عند البيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٢٦٣)، واللالكائي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، بزيادة فيه. وقال السيوطي في «الدر المنثور» عند آية (٨- ٩) من «سورة الأعراف»: «أخرج أبو الشيخ من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس...» اهـ.

قلت: ومحمد بن السائب الكلبي كذاب، وأبو صالح هو مولى أم هانئ ضعيف.

○ وأمّا الكفتان فقد صحّ ذكرهما في حديث البطاقة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الله سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ»، قَالَ: «فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ الله شَيْءٌ**»؛ رواه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وأحمد (٢/ ٢١٣)، وهو صحيح، وذكره شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين».

○ وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أيضًا مرفوعًا: «**إِنَّ نَبِيَّ الله نُوحًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ: آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ، آمُرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا الله، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله فِي كِفَّةٍ، رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً، قَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا الله...**»؛ أخرجه أحمد (٦٥٨٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٥٤٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (١٨٦)، وذكره شيخنا في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (١/ ٥٤٤).

○ وصح عن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من قوله: «يوضع الميزان وله كفتان»؛ رواه اللالكائي (٢٢٠٨)، والآجري في «الشريعة» (٨٩٤).

الشَّفَاعَةُ فِي إِخْرَاجِ عُصَاةِ الْمُوَحِّدِينَ مِنَ النَّار

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٣- وقُــلْ يُخْــرِجُ اللهُ العَظـيمُ بِفَضلِــهِ مِن النارِ أجْسـادًا مِـن الفَحْـمِ تُطْـرَحُ

٢٤- عَـلَى النَّهـرِ في الفِـردوسِ تَحْيـا بِمَائِـهِ كَحَبِّ حَميـلِ السَّـيْلِ إذْ جَـاءَ يَطْفَــحُ

يبين المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في هذين البيتين عقيدةَ أهل السنة والجماعة في إخراج عصاة الموحدين من النار، وهي أن الله يخرجهم من النار بعدما احترقوا، فيوضعون في ماءٍ يقال له: ماء الحياة، فيحيون كما تحيا الحبة في حميل السيل، إذا حملها السيل وألقاها على جنبتيه، فتنبت بماء السيل، مثل الزرعة في جنب الوادي.

◈ **وقد جاءت أدلّة تدلّ على ذلك، منها:**

١) عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، يُسَمَّوْنَ الجَهَنَّمِيِّينَ**»؛ أخرجه البخاري (٦٥٦٦).

٢) وفي حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يستأذن ربه في هذه الشفاعة أربع مرات، فيأذن له ويقول له بعد الأولى: «**أَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ**»، وبعد الثانية: «**أَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ - أَوْ خَرْدَلَةٍ - مِنْ إِيمَانٍ**»، وبعد الثالثة: «**أَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ**»، فيفعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ما يأمره الله في كلّ مرة، وفي الرابعة يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي، وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ...**» الحديث؛ أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣).

٣) وفي البخاري (٦٥٥٨) قال: حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ بِالشَّفَاعَةِ كَأَنَّهُمُ الثَّعَارِيرُ**»(١)، قُلْتُ: مَا الثَّعَارِيرُ؟ قَالَ: «**الضَّغَابِيسُ، وَكَانَ قَدْ سَقَطَ فَمُهُ**» فَقُلْتُ لِعَمْرِو بْنِ دِينَارٍ: أَبَا مُحَمَّدٍ سَمِعْتَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ الله، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**يَخْرُجُ بِالشَّفَاعَةِ مِنَ النَّارِ**» قَالَ: نَعَمْ؛ وأخرجه مسلم (١٩١).

٤) وفي حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو حديث طويل عن البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣)، وفيه: «**فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالمَلاَئِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ، فَيَقُولُ الجَبَّارُ: بَقِيَتْ شَفَاعَتِي، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدْ امْتُحِشُوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ بِأَفْوَاهِ الجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ، وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ، فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ، فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ اللُّؤْلُؤُ، فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الخَوَاتِيمُ، فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، فَيَقُولُ أَهْلُ الجَنَّةِ: هَؤُلاَءِ عُتَقَاءُ الرَّحْمَنِ، أَدْخَلَهُمُ الجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلاَ خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلَهُ مَعَهُ**».

فهم هؤلاء الموحدون الذين دخلوا النار بذنوبهم وخطاياهم، يعذّبهم الله على قدر ذنوبهم، ثم يميتهم إماتة حقيقة، ثم يخرجون بالشفاعة، وهذا من رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بهم.

أما الكفار فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، كما في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

---

(١) قال ابن الأثير في «النهاية»: «الثعارير هي القثاء الصغار، شُبِّهوا بها لأن القثاء ينمي سريعًا. وقيل: هي رؤوس الطراثيث تكون بيضا، شبهوا ببياضها، واحدتها طرثوث، وهو نبت يؤكل». وقال في تفسير الضغابيس: «هي صغار القثاء، واحدها ضغبوس. وقيل هي نبت ينبت في أصول الثمام يشبه الهليون يسلق بالخل والزيت ويؤكل» اهـ.

عند مسلم (١٨٥) قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ - أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ - فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ**[1]، **فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ**»، فَقَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، كَأَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَدْ كَانَ بِالْبَادِيَةِ.

(١) قال ابن الأثير في «النهاية»: الضبائر: «هم الجماعات في تفرقة، واحدتها ضبارة، مثل عمارة وعمائر، وكل مجتمع: ضبارة» اهـ.

الشَّفَاعَةُ الْعُظْمَى وَهِيَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٥- فـإنَّ رَسُـولَ الله للخَلـقِ شَافـعٌ وقُـلْ فِي عَـذابِ القَـبرِ حـقٌّ مُوَضَّـحُ

يشير الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ إلى إثبات الشفاعة العظمى، وهي أنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يشفع في عرصات يوم القيامة لأهل الموقف، وهي المقام المحمود الذي يغبطه به النبيون، وقد وعده الله أن يبعثه إياه، كما قال تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩]، فإذا طال عليهم الوقوف واشتدّ الكرب بهم، يأتي أهل المحشر يريدون من يشفع لهم، ويصرفهم عن هذا الموقف العصيب.

ودليل ذلك: حديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أُتِيَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بِلَحْمٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً فَقَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ، وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ الله بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ.

فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الْأَرْضِ، وَسَمَّاكَ الله عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ

رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى.

فَيَأْتُونَ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ، وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

فَيَأْتُونِّي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَغَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ، وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَأَنْطَلِقُ، فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي.

ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلْ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى»؛ أخرجه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الواسطية»: «وله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في القيامة ثلاث شفاعات: **أما الشفاعة الأولى**: فيشفع في أهل الموقف حتى يقضى بينهم بعد أن يتراجع الأنبياء؛ آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ابن مريم عن الشفاعة حتى تنتهي إليه. **وأما الشفاعة الثانية**: فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة. وهاتان الشفاعتان خاصتان له. **وأما الشفاعة الثالثة**: فيشفع فيمن استحق النار، وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم، فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها» اهـ، «شرح الواسطية» للهراس (ص/ ٢٠٢).

فهذه ثلاث شفاعات ذكرها شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ:

○ **الأولى**: الشفاعة العظمى، وقد تقدّم ذكرها ودليلها.

○ **الثانية**: الشفاعة لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة، ودليلها ما جاء عند مسلم (١٩٦) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا**»؛ وفي رواية أخرى: «**أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ، لَمْ يُصَدَّقْ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَا صُدِّقْتُ، وَإِنَّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيًّا مَا يُصَدِّقُهُ مِنْ أُمَّتِهِ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ**»؛ وهاتان الشفاعتان خاصّتان له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

○ **الثالثة**: الشفاعة في خروج عصاة الموحدين من النار، وتقدّم ذكر أدلّتها تحت البيت

الذي قبل هذا.

وهناك شفاعات أخرى، وهي شفاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لعمه أبي طالب في تخفيف العذاب عنه، وهي خاصّة به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ودليلها حديث العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: «**هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلاَ أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**»؛ أخرجه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩).

وجاء عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ، فَقَالَ: «**لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ**»؛ أخرجه البخاري (٣٨٨٥)، ومسلم (٢١٠).

والضحضاح من الماء، واستعير في النار.

وشفاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في رفع درجات بعض أهل الجنة، كما جاء في حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ دعا لعمّه أبي عامر ورفع يديه فقال: «**اللهمَّ اغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أَبِي عَامِرٍ**»؛ قال: وَرَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**اللهمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ مِنَ النَّاسِ**». فَقُلْتُ: وَلِي فَاسْتَغْفِرْ، فَقَالَ: «**اللهمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ، وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مُدْخَلًا كَرِيمًا**»؛ أخرجه البخاري (٤٣٢٣)، ومسلم (٢٤٩٨).

وحديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في موت أبي سلمة، وفيه أنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**اللهمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ**»؛ أخرجه مسلم (٩٢٠).

وشفاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لأناس يدخلون الجنة بغير حساب، كشفاعته لعكاشة

بن محصن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والحديث أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠).

هذا ولا تحصل الشفاعة إلا بإذن الله، ورضاه عن الشافع والمشفوع، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وقال: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ [النجم: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

◈ فائدة: تعريف الشفاعة:

الشفاعة لغة: اسم من شفع يشفع إذا جعل الشيء اثنين، والشفع ضدّ الوتر، قال تعالى: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ [الفجر: ٣].

وفي الاصطلاح: هي التوصل للغير لجلب منفعة أو دفع مضرّة[(١)].

وقوله: «وقُلْ فِي عَذابِ القَبرِ حقٌّ مُوضَّحُ»:

أي: أيقن واعتقد أنّ فتنة القبر وعذاب القبر ونعيمه حق لا شكّ فيه ولا ريب.

والأدلّة على فتنة القبر كثيرة في الكتاب والسنة.

فمن القرآن:

١) قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

٢) وقال تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا﴾ [نوح: ٢٥].

---

(١) وقد كتب شيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ كتابا قيما جدا في الشفاعة، واقتصر فيه على الصحيح، يستفاد منه، وهو مطبوع ولله الحمد.

٣) وقال تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١].

٤) وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

ومن السنة:

١) ما جاء عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ**»، وفي بعض طرقه: «**إِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ إِذَا انْصَرَفُوا**»، «**أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولاَنِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، **فَأَمَّا المُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا**»؛ أخرجه البخاري (١٣٣٨، ١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠).

قَالَ قَتَادَةُ: وَذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ. زاد مسلم: «**سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَيُمْلَأُ عَلَيْهِ خَضِرًا، إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**».

زاد البخاري: ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ - قَالَ: «**وَأَمَّا المُنَافِقُ وَالكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ**».

٢) وفي حديث البراء بن عازب الطويل، وفيه: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**» مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا؛ أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وأبو داود

(٤٧٥٣).

٣) وفي حديث ابن عباس أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مرّ بقبرين، فقال: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**»؛ أخرجه البخاري (٢١٨)، ومسلم (٢٩٢).

٤) وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**»؛ أخرجه مسلم (٢٨٦٨).

٥) وعن أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خَرَجَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، بَعْدَ مَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَسَمِعَ صَوْتًا، فَقَالَ: «**يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا**»؛ أخرجه البخاري (١٣٧٥)، ومسلم (٢٨٦٩).

٦) وفي «البخاري» (١٣٧٧)، و«مسلم» (٥٨٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يدعو: «**اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ**»؛ هذا لفظ البخاري. ولفظ مسلم: «**إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**».

وهناك أدلة كثيرة تدلّ على فتنة القبر، فنسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يعيذنا من عذاب القبر، إنه رؤوف رحيم.

عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي أَهْلِ الْمَعَاصِي

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٦- ولا تُكْفِرَن أَهْلَ الصَّلاةِ وإِنْ عَصَــوا فكلُّهُمُ يَعْــصِي وذُو العَـرشِ يَصْفَــحُ

يقرر الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم لا يكفرون المصلين وإن عصوا؛ فإنهم من أهل القبلة، وأهل القبلة هم المسلمون وإن كانوا عصاة، لأنهم يستقبلون قبلة واحدة، وهي الكعبة؛ بخلاف الخوارج، فإنهم يكفّرون المسلمين بمطلق المعاصي والكبائر التي هي دون الشرك والكفر.

فمعنى كلام الناظم: لا تعتقد كفر المصلين وإن وقعوا في معاصي أو كبائر دون الشرك والكفر، فقد جاء من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ صَلَّى صَلاَتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ الله وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلاَ تُخْفِرُوا الله فِي ذِمَّتِهِ»**؛ أخرجه البخاري (٣٩١).

وفي الرواية الأخرى: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، فَإِذَا قَالُوهَا، وَصَلَّوْا صَلاَتَنَا، وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا، وَذَبَحُوا ذَبِيحَتَنَا، فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى الله»؛ أخرجه البخاري (٣٩٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «الواسطية» مبيِّنا عقيدة أهل السنة: «وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر؛ كما يفعله الخوارج؛ بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨]، وقال: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]» اهـ.

وتأمل قول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «بمطلق المعاصي»، ولم يقل: بالمعاصي والكبائر؛ لأن المعاصي منها ما يكون كفرًا، وأمّا مطلق المعصية فلا يكون كفرًا.

والفرق بين الشيء المطلق ومطلق الشيء: أنّ الشيء المطلق يعني الكمال، ومطلق الشيء يعني أصل الشيء، فالمؤمن الفاعل للكبيرة عنده مطلق الإيمان، فأصل الإيمان موجود عنده، لكن كماله مفقودٌ؛ «شرح الواسطية» للشيخ ابن عثيمين (ص/ ٥٨٠) ط. دار الثريا.

قال الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا نكفِّر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحلّه» اهـ، «شرح الطحاوية» (ص/ ٣١٦) بتحقيق الشيخ الألباني.

فمعنى هذا أنّ الذنب إذا لم يكن كفرًا أو شركًا مخرجًا من الملة فإننا لا نكفر به المسلم، بل نعتقد أنه مؤمن ناقص الإيمان، معرض للوعيد، وتحت المشيئة ما لم يستحله، فإذا استحلّ ما حرّم الله، فإنّه يكفر، والله أعلم.

وقوله: «ولا تُكفِرن أهل الصلاة وإنْ عَصَوا»:

أشار الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ إلى كفر تارك الصلاة، وقد جاءت أدلّة تدلّ على كفر تارك الصلاة، منها:

- قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، ففي هذه الآية دليل على أنّ تارك الصلاة يُستتاب، فإن تاب وإلّا قُتِل.

- وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١].

- وقوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩].

ومن السنة:

١) ما جاء من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ**»؛ أخرجه مسلم (٨٢).

٢) ومنها حديث بريدة بن الحصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»؛ أخرجه الترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (٤٦٤)، وابن ماجه (١٠٧٩)، وأحمد (٥/ ٣٤٦)، وهو صحيح ذكره شيخنا في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين».

٣) وفي حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى الله**»؛ أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

٤) عَنْ عَبْدِ الله بْنِ شَقِيقٍ العُقَيْلِيِّ، قَالَ: «كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لاَ يَرَوْنَ شَيْئًا مِنَ الأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلاَةِ»؛ أخرجه الترمذي (٢٦٢٢)، والحاكم (١٢).

وقوله: «وإنْ عَصَوا»:

أي: لا تكفِّر أهل الصلاة وإن ارتكبوا معاصي، سواءً كانت كبيرة أو صغيرة ما دامت لا تصل إلى حدّ الشرك أو الكفر، فهذا معتقد أهل السنة والجماعة كما تقدَّم.

وقوله: «فكلّهم يعصي»:

يشير رَحِمَهُ اللَّهُ إلى أنّ الناس يقعون في معاصي ولكنهم بين مستقل ومستكثر، ولا يسلم أحد من الوقوع في الأخطاء إلا مَن عصَمه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وقد أخبر النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بذلك كما في حديث أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لَوْلَا أَنَّكُمْ تُذْنِبُونَ، لَخَلَقَ اللهُ خَلْقًا يُذْنِبُونَ يَغْفِرُ لَهُمْ**»؛ أخرجه مسلم (٢٧٤٨).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ**»؛ أخرجه مسلم (٢٧٤٩).

وجاء عند الترمذي عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**»؛ لكنه من طريق علي بن مسعدة الباهلي، قال البخاري: فيه نظر كما في «الميزان».

وقوله: «وذو العرش يصفح»:

أي: صاحب العرش يعفو ويغفر ويصفح لمن تاب وأناب، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة، وإخبار بأن الله يغفر الذنوب جميعا لمن تاب منها ورجع عنها، وإن كانت مهما كانت وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر. ولا يصح حمل هذه الآية على غير توبة؛ لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه» اهـ.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا يقنطن عبد من رحمة الله، وإن عظمت ذنوبه وكثرت؛ فإن باب التوبة والرحمة واسع، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [التوبة:١٠٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ

غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:١١٠]، وقال تعالى في حق المنافقين: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ ﴾ [النساء:١٤٦، ١٤٥]، وقال: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة:٧٣]، ثم قال: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة:٧٤]، وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ ﴾ [البروج:١٠]. قال الحسن البصري: انظر إلى هذا الكرم والجود، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة!» اهـ.

وأمّا العرش فله أدلّته من الكتاب والسنّة بأنّه حق.

فمن الكتاب:

- قال الله في كتابه الكريم: ﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾ [البروج: ١٥ - ١٦].
- وقال تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥].
- وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وهذه الآية جاءت في أكثر من آية من القرآن.
- وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [النمل: ٢٦].
- وقال جلّت عظمته: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [غافر: ٧].
- وقال تعالى: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٧].
- وقال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ [الزمر: ٧٥].

ومن السنة:

١) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الكَرْبِ: «**لاَ إِلَهَ إِلَّا الله العَظِيمُ الحَلِيمُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا الله رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لاَ إِلَهَ إِلَّا الله رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ**»؛ أخرجه البخاري (٦٣٤٦)، ومسلم (٢٧٠٣).

٢) وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**...فَإِذَا سَأَلْتُمُ الله فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ**»؛ أخرجه البخاري (٧٤٢٣).

٣) وللعرش قوائم كما في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «**لَا تُخَيِّرُونِي مِنْ بَيْنِ الأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ**»؛ أخرجه البخاري (٤٦٣٨)، ومسلم (٢٣٧٣).

٤) والعرش هو سقف المخلوقات، وأضيف إلى الله تعالى إضافة تشريف؛ لأنه عرش عظيم، وعقيدة أهل السنة والجماعة أنّ الله مستوي على عرشه استواء يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، ولا عبرة بأهل البدع والأهواء الذين أوّلوا الاستواء تأويلًا فاسدًا بمعنى الاستيلاء، ولا عبرة أيضًا بأهل الكلام الذين يُأوِّلون العرش بتأويلات فاسدة باطلة، فلا يُعبأ بهم، والله المستعان.

ذَمُّ الْخَوَارِجِ وَمَنْ شَاكَلَهُمْ

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٧- ولا تَعتقِـــدْ رَأيَ الخَـــوارجِ إنَّـــهُ مَقَـالٌ لِمَـنْ يهـــواهُ يُـرْدِي ويَفْضَـحُ

يُحذِّر الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ من رأي الخوارج، والخوارج هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد أخبر عنهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وحذّر منهم، فقد جاء من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا، أَتَاهُ ذُو الخُوَيْصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله اعْدِلْ، فَقَالَ: «**وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ**». فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ الله، ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ؟ فَقَالَ: «**دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَمَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيِّهِ، - وَهُوَ قِدْحُهُ -، فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُذَذِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الفَرْثَ وَالدَّمَ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ، إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ المَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ، وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ**» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا الحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتُمِسَ فَأُتِيَ بِهِ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الَّذِي نَعَتَهُ؛ أخرجه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤).

وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «**يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ، حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ البَرِيَّةِ،**

يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لاَ يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ»؛ أخرجه البخاري (٣٦١١)، ومسلم (١٠٦٦). وقال فيهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**كِلاَبُ النَّارِ شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، خَيْرُ قَتْلَى مَنْ قَتَلُوهُ**»؛ أخرجه الترمذي (٨/ ٣٥١)، وابن ماجه (١/ ٦٢)، وهو صحيح عن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فالخوارج فرقة ضالّة، ومن عقائدهم الفاسدة أنّ مرتكب الكبيرة عندهم كافر، ويخلد في النار، فهم يكفرون أيَّ مسلم يرتكب معصية؛ ولذلك كفَّروا المسلمين، واستباحوا دماءهم وأموالهم.

ومن عقائدهم الفاسدة:

- أنهم يرون وجوب الخروج على أئمة المسلمين لارتكاب الفسق أو الظلم.
- ومنها: إنكار الشفاعة لعصاة المسلمين؛ ومنها تكفير بعض الصحابة كأهل التحكيم، وأصحاب الجمل؛ ومنها نفي رؤية الله في الآخرة... إلى آخر عقائدهم الفاسدة الكاسدة.

ولهم أسماء عديدة، منها: الإباضية أتباع عبد الله بن إباض، ولهم وجود الآن في عُمان، والخوارج يعرفون في هذه الأيام بجماعة التكفير والهجرة، خرجت من مصر، وانتشرت إلى بعض الأقطار.

قال شيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد نبغت في هذا الزمان جماعة التكفير، وهي تعتنق مذهب الخوارج، ظهرت بمصر، ثم امتدت إلى جميع الأقطار الإسلامية، ولكنها الآن أصبحت خاملة غير متَّبعَة، بسبب تفقّه الشباب في كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ» اهـ؛ «الصحيح المسند من دلائل النبوة» (٥٩٥ - ٥٩٦).

فالناظم رَحِمَهُ اللَّهُ يحذر من طريقة الخوارج التي هي من طرق أهل الأهواء، قال تعالى: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢].

وقد أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بتفرقهم فقال: «**افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً**»؛ أخرجه أبو داود (٤٥٩٦)، والترمذي (٢٦٤٢)، وابن ماجه (٣٩٩١)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وحذّر منهم النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كما في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: تَلَا رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى الله فَاحْذَرُوهُمْ**»؛ أخرجه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥).

وقوله: «إنّه مَقالٌ لِمَنْ يهواهُ يُرْدِي ويَفْضَحُ»:

أي: إنّ رأي الخوارج وطريقتهم هوى، يهوي بمن سار على طريقهم ويرديه ويوقعه في الهاوية، ويفضحه ويخزيه، فيبوء بالخزي والخسران، والعياذ بالله؛ وقد كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يدعو: «**اللهمَّ جَنِّبْنِي مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَهْوَاءِ وَالْأَدْوَاءِ**»؛ أخرجه الطبراني في «الدعاء» برقم (١٣٨٤)، وهو في «الصحيح المسند» لشيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ. وأهل السُّنَّة - ولله الحمد - بُرآء من رأي الخوارج، بل إنهم من أشدّ النّاس تحذيرًا من عقيدة الخوارج الضّالّة.

ذَمُّ الْمُرْجِئَةِ وَمَنْ شَاكَلَهُمْ

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٨- ولا تَـــكُ مُرْجِيًـــا لَعُوبًـــا بِدِينِـــهِ ألا إِنَّـــمَا الْـــمُرْجِيُّ بالـــدِّينِ يَمْـــزَحُ

يُحذِّر الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ من المرجئة، وهي من الفرق الضّالّة.

«المرجئة: اسم فاعل من أرجَأ؛ بمعنى: أخر، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ﴾ [الأعراف: ١١١]، وفي قراءة: «أرجئه»؛ أي: أخره وأخر أمره، وسمُّوا مرجئة: إما من الرجاء؛ لتغليبهم أدلة الرجاء على أدلة الوعيد، وإما من الإرجاء؛ بمعنى: التأخير؛ لتأخيرهم الأعمال عن مسمَّى الإيمان. فهم يقولون: الأعمال ليست من الإيمان، والإيمان هو الاعتراف بالقلب فقط. ولهذا يقولون: الأعمال ليست من الإيمان، والإيمان هو الاعتراف بالقلب فقط. ولهذا يقولون: إن فاعل الكبيرة كالزاني والسارق وشارب الخمر وقاطع الطريق لا يستحق دخول النار لا دخولًا مؤبَّدًا ولا مؤقتًا؛ فلا يضر مع الإيمان معصية؛ مهما كانت صغيرة أم كبيرة؛ إذا لم تصل إلى حد الكفر» اهـ، «شرح الواسطية» للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ (ص/ ٤٤٢ - ٤٤٣) ط- دار الثُّرَيَّا.

«إذا فالمرجئة نسبة إلى الإرجاء وهو التأخير، سموا بذلك لأنهم أخروا الأعمال عن مسمى الإيمان، حيث زعموا أنّ مرتبك الكبيرة غير فاسق، وقالوا: لا يضرّ مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، فعندهم أنّ مرتكب الكبيرة كامل الإيمان غير معرّض للوعيد، فهم تساهلوا في الحكم على العاصي، وأفرطوا في التساهل حتى زعموا أنّ المعاصي لا تنقص الإيمان، ولا يحكم على مرتكب الكبيرة بالفسق؛ اهـ؛ «شرح الواسطية» للفوزان (ص/ ١٢٧).

فخلاصة أمر المرجئة: أنهم تساهلوا في مرتكب الكبيرة، حتى جعلوه كامل الإيمان،

واتخذوا دينهم لعبا، قال تعالى: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الأنعام: ٧٠].

وقابل المرجئةَ الخوارجُ، فحكموا على مرتكب الكبيرة بالكفر، وأنه مخلّد في النار، وقالت المعتزلة: إنه ليس بمسلم ولا كافر، أي: إنه في منزلة بين المنزلتين، لكنهم اتفقوا مع الخوارج في أنه مخلّد في النار، والمذهب الحق هو مذهب أهل السنة والجماعة؛ فإنّهم توسّطوا بين الفريقين، فقالوا: إنّ العاصي لا يخرج من الإيمان لمجرد المعصية، وهو تحت المشيئة إن شاء الله عفا عنه، وإن شاء عذّبه في النار، لكنه لا يخلد فيها كما تقول الخوارج والمعتزلة، والمعاصي تنقص الإيمان، ويستحق صاحبها دخول النار، إلا أن يعفوَ الله عنه، ومرتكب الكبيرة يكون فاسقًا ناقص الإيمان، لا كما تقول المرجئة: إنه كامل الإيمان؛ اهـ، «شرح الواسطية» للفوزان (ص/ ١٢٧).

بقي أن يُعلم أن الجهمية مرجئة، فإنهم يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية، لأنّ الإيمان عندهم تصديق القلب؛ والكرامية مرجئة، لأنهم يقولون: الإيمان هو النطق باللسان فقط، وعلى هذا فالمنافقون الذين ينطقون باللسان ويكذبون بالقلب عندهم مؤمنون.أمّا أهل السنة، فقد منَّ الله عليهم فجعلهم الأمة الوسط العدل، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البقرة: ١٤٣]، أي: عدولًا خيارًا.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «الوسط الخيار والأجود، فأهل السنة هم وسط بين هذه الفرق الضالة، والحمد لله» اهـ.

قوله: «ألا إنَّمَا الْمُرْجِيُّ بالدِّينِ يَمْزَحُ»:

بيّن الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ أنّ المرجئة اتّخذوا دينهم لعبًا ومزحًا، فالمرجئ جعل دينه لعبًا ومزاحًا، لا يبالي به، ولا يبالي بالاعتناء به، والله المستعان.

عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي الإِيمَانِ

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٩- وقُـــلْ إنَّـما الإيـمانُ قـَوْلٌ ونيَّـةٌ وفِعْـلٌ عَـلَى قَـولِ النبـيِّ مُصَـرَّحُ

يُبيِّن الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ عقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان، أنه قول باللّسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، هذا هو الحق في تعريف الإيمان.

والدليل على أنّ الإيمان قول وعمل: قول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٤٣]، يعني: صلاتكم إلى بيت المقدس قبل تحويل القبلة، سمّى الصلاة كلّها إيمانًا، وهي جامعة لعمل القلب واللسان والجوارح.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ﴾ [الحجرات: ٧]، وقال تعالى: ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وهذا معنى الشهادتين اللتين لا يدخل العبد في الدين إلا بهما، وهي من عمل القلب اعتقادًا، ومن عمل اللسان نطقًا، لا تنفع إل بتواطئهما.

وجعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ صيامَ رمضان وقيامه إيمانًا، وجعل أداء الخُمس من الإيمان، كما في حديث وفد عبد القيس، أنّ النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ، أَمَرَهُمْ: بِالإِيمَانِ بِالله وَحْدَهُ، قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِالله وَحْدَهُ**» قَالُوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ**»؛ أخرجه البخاري (٥٣)، ومسلم (١٧) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فدلّ هذا على أنّ الأعمال داخلة في حقيقة الإيمان، وليست بشيء زائد عن الإيمان، فمن اقتصر على القول باللسان والتصديق بالقلب دون العمل؛ فليس من أهل الإيمان الصحيح، فهذا هو اعتقاد أهل السنة والجماعة، الاعتقاد الصحيح: أنّ الإيمان قولٌ باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالأركان، ويزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

وأمّا الفرقُ الضالّة فقد ضلّت في تعريف الإيمان.

- فالإيمان عند المرجئة: الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان.

- وذهب أبو منصور الماتوريدي إلى أنّ الإقرار باللسان ركن زائد ليس بأصلي كالتصديق.

- وذهب الكراميّة إلى أنّ الإيمان هو: الإقرار باللسان فقط، فالمنافقون عندهم مؤمنون كاملوا الإيمان، لكن يقولون: بأنهم يستحقون الوعيد الذي أوعدهم الله به، وقولهم ظاهر الفساد.

- وذهب الجهم بن صفوان وأبو الحسن الصالحي أحد رؤساء القدرية إلى أنّ الإيمان هو: المعرفة بالقلب؛ وهذا القول أظهر فسادًا مما قبله، فإنّ لازِمَه أنّ فرعون وقومه كانوا مؤمنين، فإنهم عرفوا صدق موسى وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ولم يؤمنوا بهما، ولهذا قال موسى لفرعون: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤].

وأهل الكتاب كانوا يعرفون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كما يعرفون أبناءهم، ولم يكونوا مؤمنين به، بل كافرين به معادين له، وكذلك أبو طالب عنده يكون مؤمنًا، فإنّه قال:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ ... مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِّيَّةِ دِينا

لَــوْلَا الملَامَــةُ أَوْ حَــذَارِ مَسَــبَّةٍ لَوَجَــدْتنِي سَــمْحًا بِــذَاكَ مُبِينــا

بل إبليس يكون عند الجهم مؤمنًا كامل الإيمان؛ فإنه لم يجهل ربّه، بل هو عارف به، ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴾ [الحجر: ٣٦/ ص: ٧٩]، وقال: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ [ص: ٨٢].

والكفر عند الجهم هو الجهل بالربّ تعالى، ولا أحد أجهل منه بربّه، فإنّه جعله الوجود المطلق، وسلب عنه جميع صفاته؛ ولا جهل أكبر من هذا، فيكون كافرًا بشهادته على نفسه؛ انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (ص/ ٣٣٢) بتحقيق الشيخ الألباني.

والإيمان عند الأشاعرة هو التصديق؛ كما في «فتح المجيد» عند باب قول الله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ﴾ [النساء: ٦٠].

والتعريف الصحيح الإيمان هو تعريف أهل السنة والجماعة، فهو التعريف المأخوذ من الكتاب والسنة، وبالله التوفيق.

الإِيمَانُ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٠- وَيَـنْقُصُ طَـوْرًا بالمعَـاصِي وَتَـارةً بطَاعَتِـهِ يَنْمِـي وفي الـوَزنِ يَـرْجَحُ

يُقَرِّر الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا البيت أنّ الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، فقوله: «وينقص طورًا» أي: تارة ينقص الإيمان بالمعاصي، وتارة يزيد بالطاعة، كما قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقوله: «بطَاعَتِهِ يَنْمِي»:

أي: يزيد، والنّماء هو الزِّيادة.

وقوله: «وفي الوزن يَرْجَحُ»:

أي: يثقل.

◈ والأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه كثيرة، منها:

○ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

○ وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤].

○ وقوله سبحانه: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

○ وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

○ وقوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١].

◈ ومن الأدلة من السنة على زيادة الإيمان ونقصانه:

١) ما جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**»؛ أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).

٢) وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**»؛ أخرجه مسلم (٤٩).

٣) وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**»؛ أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

٤) وعن جندب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، «**فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا**»؛ أخرجه ابن ماجه (٦١)، وذكره شيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين».

ذَمُّ الرَّأْيِ

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣١- وَدَعْ عنكَ آراءَ الرِّجالِ وَقولَهُم ... فَقولُ رَسُولِ اللهِ أَزكى وَأَشْرَحُ

يُحَذِّر الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ من آراء الرجال، ويحثُّ على الأخذ بقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وقد كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ينكر على من عارض حديثه بالرأي والاستحسان، فقد جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَضَى فِي امْرَأَتَيْنِ مِنْ هُذَيْلٍ اقْتَتَلَتَا، فَرَمَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى بِحَجَرٍ، فَأَصَابَ بَطْنَهَا وَهِيَ حَامِلٌ، فَقَتَلَتْ وَلَدَهَا الَّذِي فِي بَطْنِهَا، فَاخْتَصَمُوا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَضَى: أَنَّ دِيَةَ مَا فِي بَطْنِهَا غُرَّةٌ عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ، فَقَالَ وَلِيُّ الْمَرْأَةِ الَّتِي غَرِمَتْ: كَيْفَ أَغْرَمُ، يَا رَسُولَ الله، مَنْ لاَ شَرِبَ وَلاَ أَكَلَ، وَلاَ نَطَقَ وَلاَ اسْتَهَلَّ، فَمِثْلُ ذَلِكَ يُطَلُّ[1]، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّمَا هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الكُهَّانِ**»؛ أخرجه البخاري (٥٧٥٨)، ومسلم (١٦٨١).

وفي «مسلم» زيادة بعد قوله: «**إِنَّمَا هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الْكُهَّانِ**»، «**مِنْ أَجْلِ سَجْعِهِ الَّذِي سَجَعَ**»،

وعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: ضَرَبَتِ امْرَأَةٌ ضَرَّتَهَا بِعَمُودِ فُسْطَاطٍ وَهِيَ حُبْلَى، فَقَتَلَتْهَا، قَالَ: وَإِحْدَاهُمَا لِحْيَانِيَّةٌ، قَالَ: فَجَعَلَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ دِيَةَ الْمَقْتُولَةِ عَلَى عَصَبَةِ الْقَاتِلَةِ، وَغُرَّةً لِمَا فِي بَطْنِهَا، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ عَصَبَةِ الْقَاتِلَةِ: أَنَغْرَمُ دِيَةَ مَنْ لَا أَكَلَ، وَلَا شَرِبَ، وَلَا اسْتَهَلَّ، فَمِثْلُ ذَلِكَ يُطَلُّ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَسَجْعٌ كَسَجْعِ الْأَعْرَابِ؟**»؛ أخرجه مسلم (١٦٨٢)، والنسائي (٤٨٣٧).

---

(١) يطلّ: أي يهدر؛ كما في «فتح الباري».

فأنت ترى أنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنكر عليه معارضته لحديثه برأيه، وقال: «**إِنَّمَا هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الْكُهَّانِ مِنْ أَجْلِ سَجْعِهِ الَّذِي سَجَعَ**».

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ لاَ يَنْزِعُ العِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاكُمُوهُ انْتِزَاعًا، وَلَكِنْ يَنْتَزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ العُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ، فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ، يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ، فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ**»؛ أخرجه البخاري (٧٣٠٧) - واللفظ له -، ومسلم (٢٦٧٣).

وقد جاءت أدلّة أخرى في ذمّ الرأي والإنكار على من خالف النصوص لرأيه، وإثم من سنّ الرأي والبدع، وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يعلم أمّته من الرجال والنساء مما علّمه الله، ليس برأي ولا تمثيل.

وأمّا الآثار عن السلف في ذمّ الرأي فأكثر من أن تحصر، ولكن نذكر بعضها:

١) فعَنْ عَلِيّ بْن أَبِي طَالِب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَوْ كَانَ الدِّينُ بِالرَّأْيِ لَكَانَ أَسْفَلُ الْخُفِّ أَوْلَى بِالْمَسْحِ مِنْ أَعْلاَهُ، وَقَدْ «رَأَيْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَمْسَحُ عَلَى ظَاهِرِ خُفَّيْهِ»؛ أخرجه أبو داود (١٦٢)، وهو صحيح.

٢) وعن الرَّبِيعِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، قَالَ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ ، وَسَأَلَهُ ، رَجُلٌ عَنْ مَسْأَلَةٍ ، فَقَالَ: يُرْوَى فِيهَا كَذَا وَكَذَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ السَّائِلُ: يَا أَبَا عَبْدِ الله تَقُولُ بِهِ؟ فَرَأَيْتُ الشَّافِعِيَّ أَرْعَدَ وَانْتَفَضَ ، فَقَالَ: «يَا هَذَا ، أَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي ، وَأَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي ، إِذَا رَوَيْتُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حَدِيثًا فَلَمْ أَقُلْ بِهِ؟ نَعَمْ عَلَى السَّمْعِ وَالْبَصَرِ ، نَعَمْ عَلَى السَّمْعِ وَالْبَصَرِ»؛ أخرجه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٥٠).

٣) وَقَالَ الرَّبِيعُ ، قَالَ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ ، وَقَدْ رَوَى حَدِيثًا ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ: تَأْخُذُ بِهَذَا؟ فَقَالَ: «إِذَا رَوَيْتُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حَدِيثًا صَحِيحًا فَلَمْ

آخُذْ بِهِ فَأَنَا أُشْهِدُكُمْ أَنَّ عَقْلِيَ قَدْ ذَهَبَ» - وَمَدَّ يَدَيْهِ -؛ أخرجه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٥٠)، والبيهقي في «مناقب الشافعي» (١/ ٤٧٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١٠٦) نقلًا عن «شرعية الصلاة في النعال» لشيخنا الوادعي (ص/ ٣٥).

٤) وقال الإمام الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «عَلَيْكَ بِآثَارِ مَنْ سَلَفَ، وَإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ، وَإِيَّاكَ وَآرَاءِ الرِّجَالِ، وَإِنْ زَخْرَفُوا لَكَ بِالْقَوْلِ»؛ أخرجه الآجري في «الشريعة» أثر رقم (١٢٧)، وهو صحيح.

٥) وقال الإمام الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «بَابٌ: فِي كَرَاهِيَةِ أَخْذِ الرَّأْيِ. أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا مَالِكٌ- هُوَ ابْنُ مِغْوَلٍ - قَالَ: قَالَ لِيَ الشَّعْبِيُّ: مَا حَدَّثُوكَ هَؤُلَاءِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَخُذْ بِهِ، وَمَا قَالُوهُ بِرَأْيِهِمْ فَأَلْقِهِ فِي الْحُشِّ»؛ «مقدمة سنن الدارمي» (١/ ٧٢) أثر رقم (٢٠٦).

فالناظم رَحِمَهُ اللَّهُ يحُثُّ على الأخذ بسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وترك الرأي، فإنّ اتباع سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هداية، كما قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾[النور: ٥٤].

واتّباع سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تزكية للقلوب، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، فاتباع سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أزكى للقلوب وأشرح للصدور.

عَلامَةُ أَهْلِ الْبِدَعِ الْوَقِيعَةُ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٢- وَلا تَكُ مِـن قَـوْمٍ تَلَهَّـوْا بِدِينِهِـم فَتَطْعَـنَ فِي أَهَـلِ الحَـدِيثِ وتَقْـدَحُ

يُحَذِّر الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ من البدع والأهواء الذين يلهون بدينهم، أي: اتّخذوا دينهم لهوًا ولعبًا، وقد أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالبعد والإعراض عن أهل الأهواء، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [النجم: ٢٩].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٧٠]، وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، وقال سبحانه: ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

قال أبو جعفر الباقر: «لا تجالسوا أهل الخصومات، فإنّهم الذين يخوضون في آيات الله»؛ أخرجه الدارمي في «مقدمة سننه» أثر رقم (٤٠٦)، وانظر: «تفسير الطبري» عند الآية المذكورة.

وكان محمد بن سيرين يرى أنّ هذه الآية: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ نزلت في أهل الأهواء؛ أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣١٤).

وجاء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ التحذير من أهل الأهواء والبدع، فعن أبي هُرَيْرَةَ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «**سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي أُنَاسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ مَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ، وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ**»، وفي رواية: «**لَا يُضِلُّونَكُمْ، وَلَا يَفْتِنُونَكُمْ**»؛ أخرجه مسلم في «مقدمة صحيحه» رقم (٦).

وعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧]، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى الله فَاحْذَرُوهُمْ**»؛ أخرجه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٦٧١٧).

قال المفسِّر ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ عند هذه الآية: «بل عنى الله عَزَّوَجَلَّ بذلك كل مبتدع في دينه بدعة مخالفةً لما ابتعث به رسوله محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، بتأويل يتأوله من بعض آي القرآن المحتملة التأويلات، وإن كان الله قد أحكم بيانَ ذلك، إما في كتابه، وإما على لسان رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ» اهـ، «تفسير الطبري» (٣/ ١٧٧).

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسير هذه الآية: «وهذه الآية تعم كل طائفة من كافر وزنديق وجاهل وصاحب بدعة، وإن كانت الإشارة بها في ذلك الوقت إلى نصارى نجران. وقال قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾: إن لم يكونوا الحرورية وأنواع الخوارج فلا أدري من هم؟» اهـ، «تفسير القرطبي» (٤/ ١٢).

وقال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ في «فتح القدير» عند هذه الآية: «وهذه الآية تعمّ كلّ طائفة من الطوائف الخارجة عن الحق» اهـ.

وقال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ عند هذا الحديث - حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: «وفي

الحديث التحذير من مخالطة أهل الزيغ وأهل البدع، ومن يتبع المشكلات للفتنة»؛ اهـ، «شرح النووي على مسلم» (١٦/ ٢١٨).

وحذّر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من الخوارج المبتدعة، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلاَتَكُمْ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، وَيَقْرَءُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ...**»؛ أخرجه البخاري (٥٠٥٨)، ومسلم (١٠٦٤).

وجاء عن السلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ التحذير الشديد من أهل الأهواء، فمن ذلك:

١) قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لا تُجالسوا أهل الأهواء، فإنّ مجالستهم ممرضة للقلوب»؛ أخرجه الآجري في «الشريعة» رقم (١٣٣) فهو حسن.

٢) وقال أبو قلابة: «لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم، فإنّي لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون»؛ أخرجه الدارمي في «المقدمة» أثر (٤٠٥)، والآجري في «الشريعة» (١١٤)، واللالكائي أثر (٢٤٤).

٣) وقال الحسن البصري ومحمد بن سيرين: «لا تجالسوا أصحاب الأهواء، ولا تجادلوهم، ولا تسمعوا منهم»؛ أخرجه الدارمي في «المقدمة» رقم (٤١٥).

وهذه الآثار تؤيِّد قول الناظم: «ولا تك من قوم تلَهّوا بدينهم»، فبعد أن حذّر الناظم من أهل الأهواء وأشار إلى أنّ من علامات أهل البدع والأهواء الطعن في أهل الحديث والقدح فيهم، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فتطعن في أهل الحديث وتقدح».

وهذه علامة واضحة بارزة من علامات أهل البدع، الطعن في أهل الحديث والأثر، وقد كان السلف يرون الطعن على أهل السنة من علامات أهل الضلال والبدع، بل

يعتبرون الرجل مبتدعًا بمجرد طعنه في أهل السنة.

قال أبو حاتم الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: «علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر»؛ «أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي (١/ ١٧٩).

وقال أبو عثمان الصابوني رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «وعلامات البدع على أهلها بادية ظاهرة، وأظهر آياتهم وعلاماتهم شدّة معاداتهم لحملة أخبار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، واحتقارهم لهم، واستخفافهم بهم» اهـ، «عقيدة السلف» (٣٠٨) بشرح الشيخ الفاضل ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله.

وقال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا رأيتَ الرجل يغمز حمّاد بن سلمة، فاتّهِمه على الإسلام، فإنّه كان شديدًا على المبتدعة»؛ «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٤٥٠).

وقال أبو رزعة رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا رأيت الكوفي يطعن على سفيان الثوري وزائدة: فلا تشك أنه رافضي، وإذا رأيت الشامي يطعن على مكحول والأوزاعي فلا تشك أنه مرجىء، واعلم أن هذه الطوائف كلها مجمعة على بغض أحمد بن حنبل لأن ما منهم أحد إلا وفي قلبه منه سهم لا برء له»؛ «طبقات الحنابلة» (١/ ٢٠٠).

وقال نعيم بن حماد رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا رأيت العراقي يتكلم في أحمد بن حنبل فاتهمه في دينه، وإذا رأيت الخراساني يتكلم في إسحاق بن راهويه فاتهمه في دينه، وإذا رأيت البصري يتكلم في وهب بن جرير فاتهمه في دينه»؛ «تاريخ بغداد» (٦/ ٣٤٨)، و«تاريخ دمشق» (٨/ ١٣٢).

---

(١) هو الشيخ الإمام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني النيسابوري الشافعي الواعظ المفسّر النّاظم أحد الأعلام، كان إمامًا حافظًا عمدةً مقدّمًا في الوعظ والأدب، توفي في صفر سنة ٤٤٩ هـ، انظر: «شذرات الذهب» لابن عماد الحنبلي (٣/ ٢٨٢).

وقال أبو جعفر محمد بن هارون المخرمي المعروف بالفلاس رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا رأيت الرجل يقع في أحمد بن حنبل فاعلم أنه مبتدع ضال»؛ «مقدمة الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٢٥٦)، و«تاريخ دمشق» (٥/ ٢٩٤).

قال أبو حاتم الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا رأيت الرجل وغيره يبغض أبا زرعة فاعلم أنه مبتدع»؛ «تاريخ بغداد» (١٠/ ٣٢٨)، و«تاريخ دمشق» (٣٨/ ٣١).

وقال السفاريني رَحِمَهُ اللَّهُ: «لسنا بصدد ذكر مناقب أهل الحديث، فإنّ مناقبهم شهيرة، ومآثرهم كبيرة، وفضائلهم غزيرة، فمن انتقصهم فهو خسيس ناقص، ومن أبغضهم فهو من حزب إبليس ناكص»؛ «لوائح الأنوار» (٢/ ٣٥٥).

أَهَمِّيَّةُ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ وَفَضَائِلِهَا

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٣- إذا مَا اعتقـدْتَ الدَّهْرَ يا صَـاحِ هـذِه فَأَنْـتَ عَلـى خَيْـرٍ تَبِيـتُ وتُصْـبِحُ

يُبَيِّنُ الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ أهمية هذه العقيدة الصحيحة السليمة، وهي ما ذكره في قصيدته، فإنّه ذكر فيها أهمّ أصول عقيدة أهل السنة والجماعة، فقال: «إذا مَا اعتقـدْتَ الدَّهْرَ»، أي: إذا اعتقدت، فـ«ما» هنا زائدة؛ لأنّ «ما» إذا جاءت بعد «إذا» فهي زائدة، قال الشاعر:

يَـــا طَالِبًـــا خُـــذْ فَائِـــدَةْ بَعْـــدَ «إِذَا» «مَـــا» زَائِـــدَةْ

والعقيدة: هي ما يعقد عليه المرء قلبه، تقول: اعتقدت كذا، أي: عقدت عليه القلب والضمير، وأصله مأخوذ من عقد الحبل إذا ربطه، ثم استعمل في عقيدة القلب وتصميمه الجازم؛ اهـ، «شرح الواسطية» للفوزان (٩).

فمعنى كلام الناظم: إذا اعتقدت يا صاحبي هذه العقيدة، فأنت على خير حين تبيت وحين تصبح، لأن العقيدة السليمة تنفع صاحبها، وتقبل معها الأعمال، ويعيش المسلم في حياة طيبة وسعيدة، قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

والعقيدة السليمة الصحيحة تعصم الدم والمال في الدنيا، وتحرم الاعتداء عليهما وانتهاكهما بغير حق، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، فَإِذَا قَالُوهَا، وَصَلَّوْا صَلاتَنَا، وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا، وَذَبَحُوا ذَبِيحَتَنَا، فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ، إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى الله**»؛ أخرجه مسلم (٢١) عن جابر بن عبد الله.

والعقيدة السليمة تنجي صاحبها من عذاب الله يوم القيامة، فعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ**»؛ أخرجه مسلم (٩٣).

وعن عتبان بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**»؛ أخرجه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣).

والعقيدة الصحيحة السليمة يكفر الله بها الخطايا، فعن أبي ذرّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً**»؛ أخرجه مسلم (٢٦٨٧).

فسلامة العقيدة من الشرك كثيره وقليله، وصغيره وكبيره، هي شرط حصول المغفرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

وصاحب هذه العقيدة السليمة هو صاحب القلب السليم، الذي قال الله فيه: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩].

تمت مراجعتها في يوم الأحد الرابع من شهر شعبان لعام (١٤٣٠) من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، والحمد لله رب العالمين

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا مزيدًا

الفهرس

مُقَدِّمة الشيخ الْمُحَدِّث يحيى بن علي الحجوري ٣
مُقَدِّمة المُؤلّف ٤
كَلِمة شُكْر ٥
ترجمة الناظم رحمه الله ٦
اسمه ونسبه وكنيته ٦
مولده ٦
مشايخه ٦
تلاميذه ٧
منزلته العلمية وثناء أهل العلم عليه ٧
عقيدته ٨
زهده وعبادته وعفّته ٨
مصنفاته ٨
مما نسب إليه ولم يصح عنه ٨
وفاته ١٠
إثبات حائية الإمام أبي بكر بن أبي داود إليه ١١
متن الحائية ١٢
التَّمَسُّكُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ١٤
النَّجَاةُ وَالرِّبْحُ فِي التَّمَسُّكِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ٢٠
صِفَةُ الْكَلَامِ ٢٢
الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ ٢٦
بُطْلَانُ قَوْلِ مَنْ قَالَ لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوق ٣٠
رُؤْيَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ٣٤
تَنْزِيهُ اللهِ سُبْحَانَهُ عَنِ الشَّبِيهِ وَالْمَثِيلِ ٣٧
إِنْكَارُ الْجَهْمِيَّةِ رُؤْيَةَ اللهِ عزَّ وَجَلّ ٤١
اسْتِدْلَالُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى رُؤْيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِأَدِلَّةٍ صَحِيحَةٍ ٤٥
صِفَةُ الْيَدَيْنِ وَإِنْكَارُ الْجَهْمِيَّةِ لَهَا ٤٧
صِفَةُ النُّزُول ٥٧

أَحَادِيثُ النُّزُولِ مُتَوَاتِرَةٌ ٦٥
فَضْلُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ٦٩
فَضْلُ عُثْمان بن عفَّان رضي الله عنه ٧٤
فَضْلُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِب رضي الله عنه ٧٦
فَضْلُ الْخُلَفَاءِ الأَرْبَعَةِ الرَّاشِدِينَ ٨٠
فَضْلُ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ ٨٢
الصَّحَابَةُ لا يُذْكَرُونَ إِلا بِالْجَمِيلِ ٨٨
فَضْلُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عنهم ٩٣
الإِيمَانُ بِالْقَدَرِ ٩٥
الإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الآخِرِ ١٠١
الشَّفَاعَةُ فِي إِخْرَاجِ عُصَاةِ الْمُوَحِّدِينَ مِنَ النَّارِ ١٠٧
الشَّفَاعَةُ الْعُظْمَى وَهِيَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ ١١٠
عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي أَهْلِ الْمَعَاصِي ١١٧
ذَمُّ الْخَوَارِجِ وَمَنْ شَاكَلَهُمْ ١٢٣
ذَمُّ الْمُرْجِئَةِ وَمَنْ شَاكَلَهُمْ ١٢٦
عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي الإِيمَانِ ١٢٨
الإِيمَانُ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ ١٣١
ذَمُّ الرَّأْيِ ١٣٣
عَلامَةُ أَهْلِ الْبِدَعِ الْوَقِيعَةُ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ ١٣٦
أَهَمِّيَّةُ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ وَفَضَائِلُهَا ١٤١
الفهرس ١٤٣